جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

جماليات المكان في رواية "نخلة الهيش" للأديب إيهاب الورداني

(دراسة نقدية تطبيقية)

إعداد

د/ وائل فؤاد إسماعيل عبداللطيف
مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا
جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية-

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

جماليات المكان في رواية "نخلة الهيش"
للأديب إيهاب الورداني (دراسة نقدية تطبيقية)

وائل فؤاد إسماعيل عبداللطيف

قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا . جامعة الأزهر . جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : dr.waelfouad12@gmail.com

الملخص:

هذا البحث يتناول جماليات المكان في رواية "نخلة الهيش" للأديب إيهاب الورداني، ويعمل على إبراز جماليات المكان المفتوح والمغلق، وتفاعله مع الشخصيات والأحداث والزمان داخل الرواية، وقد قام هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، ثم انتهى إلى خاتمة، ضمت أهم النتائج والتي من أبرزها:

إن المكان في رواية "**نخلة الهيش**" استخدمه الأديب إيهاب الورداني، ومثَّل جانبا كبيرا، وأنه لم يشغله المكان عن باقي أدوات البنية السردية، فتفاعلت الشخصيات وبرزت الأحداث وبدا الزمان شاهدا على الأحداث بصورة ملحوظة في جميع فصول الرواية منذ بداتيها حتى نهايتها، لكن البطل الأبرز هو المكان، وبهذا استطاع الكاتب ربط المكان– قريته– "**مجول**"– التي نشأ وترعرع فيها، بقضايا المجتمع الذي يعيش فيه؛ ليعالج هذه القضايا بدقة ووضوح في هذا العمل الروائي.

الكلمات المفتاحية: جماليات، المكان، رواية، نخلة الهيش، إيهاب الورداني.

The aesthetics of placein the novel "Nakhlat Al-Hish" by the writer Ehab Al-Wardani (Applied critical study)

Wael Fouad Ismail Abdel Latif
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Girga, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: dr.waelfouad12@gmail.com

Abstract:
This research deals with the aesthetics of place in the novel “Nakhlat Al-Hish” by the writer Ihab Al-Wardani, and works to highlight the aesthetics of open and closed space, and its interaction with the characters, events and time within the novel. This research was based on an introduction, a preface and two chapters, then ended with a conclusion, which included the most important results, the most prominent of whic are:
The place in the novel “Nakhlat Al-Hish” was used by the writer Ihab Al-Wardani, and represented a large aspect, and that the place did not occupy him from the rest of the tools of the narrative structure, so the characters interacted and the events emerged and time appeared as a witness to the events in a noticeable way in all the chapters of the novel from its beginning until its end, but the most prominent hero is the place, Thus, the writer was able to link the place - his village - "Majoul" - where he grew up and was raised, with the issues of the society in which he lives; to address these issues with precision and clarity in this novel.

Keywords: Aesthetics, Place, Novel, Al-Hish Palm, Al-Wardani’s Plan.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، والذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وخِيرَة خلقه، خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين، **أما بعد:** فتعد الرواية من أهم الفنون الأدبية السردية التي لاقت اهتماما وحضورا كبيرا لافتا للانتباه خاصة في السنوات الأخيرة، مما يجعلنا نعدها الآن ديوان الحياة الأدبية المعاصرة، باعتبارها تعبر عن مشكلات الواقع الإنساني المعاش وعصره، وقد تناولها العديد من النقاد والدارسين بالدراسة والتحليل والنقد، والمكان واحد من أهم عناصر البناء الروائي، فهو المرتكز الذي ينهض عليه بناء الرواية، لما يحمله من أبعاد جمالية وفنية تسهم في التأثير في مجرى الأحداث، وبناء الشخصيات، وبه تضمن الرواية تماسكها الفني، فالمكان ليس عنصرا مكملا بل هو أساس تحتاج إليه الرواية لبناء عالمها الشامل.

ويعد الأديب "**إيهاب الورداني** "رحمه الله" واحدا من الكُتَّاب المصريين الذين اهتموا بالمكان في أعمالهم الأدبية، وتعد الرواية التي بين أيدينا "**نخلة الهيش**" نموذجا من أعماله التي حظيت بعناية خاصة بتواجد المكان بصورة واضحة، وقد جاءت هذه الدراسة بعنوان: "**جماليات المكان في رواية "نخلة الهيش" للأديب "إيهاب الورداني**"،إدراكا لأهمية المكان في العمل الروائي أولا، ولحضوره بشكل واضح وأساس في بناء رواية "**نخلة الهيش**" ثانيا.

وأهمية أي دراسة تتحدد من خلال ما تسده من ثغرات في ميدانها، وبما تجيب عنه من أسئلة تتعلق بالعمل المدروس، وسأحاول من خلال هذا البحث أن أجيب عن السؤال الرئيس؛ كيف استخدم الأديب "**إيهاب الورداني**" جماليات المكان في عمله الروائي "**نخلة الهيش**"، وهذا التساؤل ينبثق منه تساؤلات فرعية منها الآتي:

- التعريف بعلم من أعلام السرد المصري المعاصر الأديب"**إيهاب الورداني**" من خلال دراسة عمله الروائي "**نخلة الهيش**".

- إبراز أهمية المكان في العمل الروائي، والكشف عن دوره وجمالياته في رواية "**نخلة الهيش**".
- إبراز تفاعل الشخصيات والأحداث والزمان مع المكان.
- ما التقنيات التي استخدمها الأديب "**إيهاب الورداني**" لإبراز جماليات المكان في روايته "**نخلة الهيش**"؟

الدرسات السابقة: لم أقف على الدراسات والأبحاث السابقة التي تناولت جماليات المكان في رواية "**نخلة الهيش**" للأديب "**إيهاب الورداني**".

المنهج المتبع في الدراسة: اتبعت المنهج الوصفي التحليلي؛ لكي أستطيع الكشف عن روائية المكان في النصوص التي استخرجتها من الرواية، والتي تحمل دلالات مكانية مؤثرة في سياق الأحداث الروائية.

خطة البحث: اشتملت على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

المقدمة: اشتملت على مشكلة البحث وتساؤلاته، وأهدافه، وأهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: وفيه مفهوم المكان وأهميته في العمل الروائي، وله ثلاثة محاور:

المحور الأول: قيمة المكان وأهميته في العمل الروائي.

المحور الثاني: التعريف بالأديب "**إيهاب الورداني**" وسيرته الذاتية.

المحور الثالث: إطلالة عامة على رواية (نخلة الهيش).

واشتمل البحث على مبحثين:

المبحث الأول: جماليات المكان المفتوح في رواية **(نخلة الهيش)**.

المبحث الثاني: جماليات المكان المغلق في رواية **(نخلة الهيش)**.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

هذا وأسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث لبنة في حقل دراسات البنية السردية في الرواية، وأن يكون هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم، وأتمنى أن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات أخرى للأعمال الأدبية للأديب **إيهاب الورداني** "رحمه الله" السردية والشعرية وإبداعاته الفنية.

التمهيد

مفهوم المكان وأهميته في العمل الروائي:

المكان لغة: تعددت دلالات المكان في المعاجم اللغوية، فقد جاء في لسان العرب أن المكان بمعنى الموضع ويُجمع على أمكنة وأماكن(١)، في حين ورد في كتاب العين على أنه: "موضع للكينونة، غير أنه لمَّا كثر الاستعمال أجروه في التصريف مجرى فَعَال، فقالوا: مَكَّنَّا له وقد تَمكَّن"(٢)، وسار الأزهري في تهذيب اللغة على مسار الفراهيدي، وردد ما قاله دون أي إضافة جديدة في دلالة الكلمة(٣).

أما في المعاجم الحديثة فقد وردت لفظة (المكان) بمعنى المنزلة، فيقال: هو رفيع المكان، وبمعنى الموضع، وصفه أمكنة(٤).

المكان اصطلاحا: تناولت العديد من الدراسات مصطلح المكان بالدراسة، ومن أبرز التعريفات بأنه: "مساحة ذات أبعاد هندسية وطبوغرافية، تحكمها المقاييس والحجوم، ويتكون من مواد، ولا تحدد المادة بخصائصها الفيزيقية فحسب، بل هو نظام من العلاقات المجردة، فيُستخرج من الأشياء الملموسة

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (مكن)، ٤١٣/١٣، ٤١٤، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

(٢) العين، للخيل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق/ عبدالحميد هنداوي، مادة(مكن) ١٦٢/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب، ١٦١/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

(٤) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٨٠٦/٢، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ٢٠٠٤م.

بقدر ما يستمد من التجريد الذهني، أو الجهد الذهني المجرد"[١]، وقد شغل المكان اهتمام الفلاسفة، فعرَّفوه بأنه: "الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم، وينفذ فيه أبعاده، ويرادفه الحيز"[٢].

وعلاقة الإنسان بالمكان علاقة جدلية مصيرية، "فلا يمكن أن يتصور الذهن لحظة من لحظات الوجود الإنساني خارج سياق الحكاية"[٣].

ويراد به في العمل السردي ذلك المكان الذي يصفه الكاتب في عمله السردي، فهو المكوِّن اللغوي التخيلي الذي تضعه اللغة، وتقيمه الكلمات انصياعا لأغراض التخييل وحاجاته[٤].

(١) إضاءة النص قراءات في الشعر العربي الحديث، تأليف/ إعتدال عثمان، ص ٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.

(٢) المعجم الفلسفي، تأليف/ جورج صليبا، ص ٤١٢، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د. ت، سنة ١٩٩٤م.

(٣) جماليات المكان في الرواية السعودية دراسة نقدية، تأليف/ حميد البليهد، ص ٨، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٨هـ.

(٤) ينظر: عالم النص، دراسة بنيوية في الأساليب السردية، تأليف/ سليمان كاصد، ص ١٢٧، دار الكندي للنشر، عمَّان، سنة ٢٠٠٣م.

المحور الأول: قيمة المكان وأهمية في العمل الروائي

قد يختار الكاتب اسما معينا للمكان ثم يجعله عنوانا لروايته، كما فعل نجيب محفوظ في كثير من رواياته، مثل: زقاق المدق، وخان الخليلي، وميرامار، وثرثرة فوق النيل، وغير ذلك، ربما لإيهام المتلقي بواقعية الأحداث، وهذا ما فعله كاتبنا –**إيهاب الورداني**– في رواية "**نخلة الهيش**"، حيث اتُّخذ من هذا المكان المتواجد في قرية "**مجول**" التابعة لـ– مركز سمنود، محافظة الغربية– لروايته، حيث استقر على ذلك تحديد هذا المكان ما جعله بؤرة رئيسة لإدارة الأحداث، وهذا المكان يُشكِّل بطولة العمل الأدبي، وفي أحيانا كثيرة يحدد اتجاه النص الروائي، وقد أشار الكاتب إلى فترة زمنية من تاريخ المجتمع المصري مُتزامنة مع نهاية القرن التاسع عشر، مرورا بتجاوز النصف الثاني من القرن العشرين وهي فترة مميزة، والتي مرَّت خلالها أحداث الرواية، ضمَّت طوائف عديدة وطبقات متنوعة كان لها الدور الفَعَّال في هذا الوقت، وعندما استعان الكاتب بوصف المكان أو باسمه، فهو لا يسعى إلى تصوير المكان الخارجي، وإنما يسعى إلى تصوير المكان الروائي، وأي مطابقة بين المكان الروائي والواقعي هي مطابقة غير صحيحة، واستعانة الكاتب بالتسمية أو الوصف ما هو إلا لإثارة خيال المتلقي وتحفيزه على التصوير عن طريق استحضار الواقع ووصفه.

وقد أفرط الكاتب في وصف قرية "**مجول**" بتفاصيل قد تبدو صغيرة، وهذا الإفراط في الوصف لم يأتِ من أجل الزخرفة أو الزينة، وإنما هي محاولة لتحسين مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات "والكاتب عندما يصف لا يصف واقعا مجردا، ولكنه واقع مشكلا تشكيلا فنيا، وإن الوصف في الرواية هو وصف لوحة مرسومة أكثر منه وصف واقع موضعي"(١).

(١) بناء الرواية: "دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ"، تأليف الدكتورة/ سيزا قاسم، ص ١١٩، =

وبهذا يلحظ أن الوصف في رواية "**نخلة الهيش**" ارتبط بفترة زمنية ولذلك فإن قرية "**مجول**" لم تكن موقعا جغرافيا أو إطارا للأحداث، وإنما أصبحت مكانا له سيادة مطلقة في إنتاج الشخوص والأحداث، ويبلور علاقات إنسانية تحمل أبعادا فنية وفلسفية وأيديولوجية، فأنتجت الرواية شخصيات أمثال "النحاس باشا" شخصية ارستقراطية تمثِّل شريحة من شرائح المجتمع المصري في ذلك الوقت.

=

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

المحور الثاني: التعريف بالأديب "إيهاب الورداني" وسيرته الذاتية[١].

إيهاب الورداني سيد أحمد سيف، أديب وروائي وناقد مصري من مواليد ٦ سبتمبر ١٩٥٧م، بمحافظة الغربية، مركز سمنُّود، قرية مجول، له عدة أعمال أدبية ونقدية في الرواية والقصة والشعر، رحل عن عالمنا في ٢٣ نوفمبر ٢٠٢٠م، عن عمر يناهز ٦٣ سنة.

- **الأعمال المطبوعة:**

ـ على باب ناعسة – ديوان قصص، سنة ١٩٩٣م.

ـ الإرث– ديوان قصص، سنة ١٩٩٩م.

ـ العجز والرؤية – كتاب نقدى، سنة ٢٠٠٠م.

ـ مفهوم القص وإشكاليات البناء– كتاب نقدى، سنة ٢٠٠٦م.

ـ الرجفة والجمر – نصوص، سنة ٢٠١٧م.

ـ أحمل وطنا يشبهني – نصوص، سنة ٢٠١٨م.

ـ ثمة حارس يفزعه الوقت – ديوان قصص، سنة ٢٠١٨م.

- **تحت الطبع:**

ـ تبدلات المعنى– كتاب نقدي.

ـ فصول البراري– رواية.

ـ إلى حيث أنا– رواية.

- **فعاليات:**

ـ مدير تحرير مجلة دلتا الأدبية، أصدرها مجموعة من أدباء المحلة الكبرى.

ـ مدير تحرير مجلة كتابات، أصدرتها ثقافة الغربية.

(١) رواية نخلة الهيش، تأليف/ إيهاب الورداني، ص ٨١، ٨٢، دار ميتا بوك للطباعة والنشر، سنة ٢٠٢١م.

- **رئيس تحرير:**

ـ مجلة غزل الأدبية التي أصدرها قصر ثقافة غزل المحلة.

ـ مجلة أقلام التي أصدرتها ثقافة الغربية.

ـ عضو أمانة مؤتمرات إقليم غرب ووسط الدلتا الثقافي.

ـ أمين عام مؤتمر اليوم الواحد فرع الغربية.

ـ رئيس مؤتمر اتحاد الكُتَّاب فرع الغربية.

ـ عضو مؤسس جماعة رؤى الأدبية.

ـ عضو اتحاد كُتَّاب مصر.

ـ عضو نادي القصة المصري.

ـ أمين صندوق النقابة العامة لاتحاد كُتَّاب مصر.

ـ نُشرت أعماله في كثير من المجلات والجرائد المصرية والعربية.

ـ أسهم بورقات بحثية في كثير من المؤتمرات الأدبية داخل مصر.

المحور الثالث: إطلالة عامة على رواية "نخلة الهيش"

انطلاقا من عتبات النص وهو عنوان الرواية "**نخلة الهيش**" يواجه القارئ سطوة المكان من الغلاف الخارجي للرواية، حيث يعد العنوان تساؤلا محاطا بالغموض في انتظار الإجابة عليه من داخل العمل الروائي؛ لذلك يلج القارئ إلى الخطاب من خلال فك شفرة العنوان وتحليله؛ ليصل إلى دلالات الخطاب، وبخصوص العنوان الماثل أمامنا فإنه يحيل القارئ إلى مكان محدد وثابت في مكان ما وهو "**نخلة الهيش**" فإلامَ يشير هذا العنوان؟ وكأنَّها نخلة تختلف عن بقية النخل، من هنا رسم الكاتب– إيهاب الورداني– خريطة المكان بالكلمات، مما يستدعي الوقوف عند معالمه الأساسية، ويلحظ ذلك عندما نراه يقول في بداية الرواية عن طريق الفانتازيا باستخدام المونولوج الداخلي: "**إن الفساد عم البلاد، وإنَّهم غارقون حتى أرجلهم في الوحل ما بين القرابين والنساء**"(١)، وتدور أحداث في قرية "**مجول**" حول شخصية الكاتب "**إيهاب الورداني**" وأسرته، امتدادا لجزوره الفرعونية كما ذكر، وامتدادا لأسرته وأبنائه، فقد استعان بنسج روايته وتشكيلها بهذه الشخصيات التي شاركها في أحداثها، حيث يعيش مع عائلته المتوسطة الحال أمثال الكثير في هذه القرية، والتي تسعى إلى أن تحيا حياة طيبة، فهو المثقف الذي نشأ في كنف والديه وإخوته، ثم تدور الأحداث وتتشابك حول هذه الشخصيات بداية من والدته التي كانت تعيش مع إخوتها البنات وترك أبوهن ميراث أخذه رجل اسمه "عشيري" المعروف بالصلاح والاستقامة، لكنَّه رفض أن يعطيهن حقهن، فاجتمعن أمام المسجد بعد الصلاة وصرخن أمام الناس الخارجة من المسجد؛ للمطالبة بحقوقهن، ولذلك تعود قيمة المكان وأهميته في الكتابات الأدبية عموما، والكتابة الروائية خصوصا إلى كونه

(١) رواية نخلة الهيش، ص ١٠.

حاويا لبنية الرواية، فهو ينسج علاقات نصية على الشخصيات والأحداث والزمن، حتى يتحول عن كونه مكانا تدور فيه الأحداث وتلتحم به الشخصيات إلى فضاء حاويا لكل مكوناته(١)، وهذا يدل على تجسيد صورة هذه العلاقة بين المكان والشخوص في "**نخلة الهيش**" عبر حزمة من الدلالات التي تعمق علاقة حُب الشخصية للمكان الذي تعيش فيه؛ بحيث تشعر بأنَّ هناك رابطا روحيا قويا بينها وبين هذا المكان، ثم ينتقل بعدها إلى أخيه الذي يصغره والذي وصفه بالشقي، فقد اشترى سيارة أجرة ليتكسب منها ويساعد أسرته ويُحسِّن دخله، لكن أصيب بسببها بحادث مما استدعى إلى نقله إلى المستشفى، ويسمع بهذا الخبر المؤلم **الورداني**، فيذهب على الفور، ويصبه الحزن والأسى على أخيه، ويطلب الأطباء منه في المستشفى نقل دم لأخيه مما يسرع للذهاب للقرية ولم جيبه أحد، ثم يموت أخوه ويصيبه الألم بهذا الفقد، كما يلحظ أن الكاتب في الرواية عاش ممزوجا مع قريته "**مجـــول**"، وحبه لها، رُغم ما فيها من سلبيات، ربما تكون في أغلب القرى، لكن يلحظ أنه بدأ الرواية بالخيال وذكر قريته.

ثم ينتقل إلى الواقع والأحداث التي مرَّت بأبيه وأمه وأسرته، ثم تتشابك هذه الأحداث مع الشخوص التي أتى بها والتي تتمثل في أسرته وقريته، كذلك استطاع تشريح طبقات المجتمع الذي يعيش فيه، فنوَّع في اتجاهات الرواية، حتى أصبحت خليطا ممزوجا بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والديني والسياسي، فمن الواقع الاجتماعي ما ذِكر من تناوله حياة أسرته وما يحدث لهم من أمور، ومن الواقع السياسي ذكره مجيء "**النحاس باشا**" إلى القرية وزواج أخته بأحد أبناء القرية ومشاركتهم في الانتخابات، ومن الواقع الاقتصادي غلاء

(١) ينظر: جماليات المكان في الرواية العربية المعاصرة،–عمارة يعقوبيان– نموذجا، للباحثة/ زينب فرغلي حافظ، ص ١٧٦٩، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد الرابع، العدد ٢١، سنة ٢٠١٠م.

المعشية والخبز، ومن الواقع الديني ذِكر المسجد والأضرحة والاعتقادات الباطلة و"شجرة الجميزة" المكان الموحش.

كذلك لجأ إلى الإشارة إلى التاريخ في الصفحات الأولى بأن قريته "**مجول**" فرعونية، ولها تاريخ وحضارة، فجده "المجولي الأول" وتوارثت ذلك الأجيال وصولا لأبيه، حتى أصبح هو "المجولي الأخير"، وسميت القرية "**بمجول**" واستطاع ذِكر ذلك بمزجه الواقع بالفانتازيا، ومنها إلى الدخول في أحداث الرواية والتي تبدأ من تاريخ والدته وأخواتها البنات التي كانت تكبرهن، وقد تزوجت عندئذ، وأنجبته، إلى غير ذلك من الأمور التي تحدث في هذه الرواية، وبهذا أظهرت الرواية ملامح المجتمع لجزء كبير من قرية "**مجول**" وما تعانيه وما تحمله من دلالات، فكان لا بد من التعرُّف عليها في هذا البحث الذي يهدف إلى إبراز أهمية جماليات المكان فيها، إذ والاه الكاتب عناية خاصة ووظَّفه بأسلوب يتناسب والبنية الكلية للرواية، وهذا يظهر في اختياره للعنواين داخل الرواية.

وبهذا يلحظ أن الوصف في رواية "**نخلة الهيش**" ارتبط بحقبة زمنية تواكب ثورة ١٩١٩م وما بعدها من أحداث مرَّت بها مصر، متمثلة في رؤية "**النحاس باشا**" عند مجيئه لقرية "**مجول**"، وهكذا فإن قرية "**مجول**" لم تكن موقعا جغرافيا أو إطارا للأحداث، وإنما أصبحت مكانا له سيادة مطلقة في إنتاج الشخوص والأحداث، ويبلور علاقات إنسانية تحمل أبعادا فنية وفلسفية وأيديولوجية، فأنتجت الرواية شخصيات أمثال "النحاس باشا" شخصية ارستقراطية تُمثِّل شريحة من شرائح المجتمع المصري في تلك الحقبة التي تتسم بالأرستقراطية.

وبهذا يمكن القول بأن هذه الرواية تمثل أطياف المجتمع في قرية "**مجول**"، كما تعد الرواية بحق رواية الانكسارات والهزائم والخيبات لهذه المشاعر السلبية التي رافقت أغلب الشخصيات بمختلف طبائعهم وتوجهاتهم، فقد طغت هذه المشاعر على القرية حتى صارت كلها مرفوضة، وقد ترك الكاتب نهاية الرواية مفتوحة؛ لإفساح المجال أمام المتلقي؛ لرسم هذه النهاية وملامحها بحسٍّ يرتئيه.

المبحث الأول

جماليات المكان المفتوح في رواية "نخلة الهيش"

يُشكل المكان في الرواية صورتين، الأولى المكان المفتوح والثانية المكان المغلق، والمكان المفتوح: يعبر عن اسمه فهو المكان الواسع الذي يفتح أمام الشخصية أبوابه مشرعة، تنتقل فيه حيث شاءت، ولا تحده حواجز ولا عوائق تعرقل حركتها، ووجود الأماكن المفتوحة داخل الرواية مهم جدا، فلا تخلو رواية من مكان مفتوح يجمع كل الشخصيات ويسهم في إطلاق شرارة الأحداث، ويُشكِّل الروائي فكرته من خلاله، وقد استعان كاتبنا– **إيهاب الورداني**– بالمكان المفتوح في بنية روايته بطريقة واضحة، ومن هذه الأماكن:

١– **القرية:** احتلت القرية حيزا كبيرا في مكان الرواية وأحداثها وشخصياتها، ولذلك ركَّز عليها الكاتب كثيرا، فتحدَّث عن حالة القرية بين ماضيها وحاضرها من خلال ابتداء نشأت القرية، والتي أشار إليها ببدء الرواية عن طريق الفانتازيا ثم الولوج بعدها إلى الواقع، للتعامل مع الشخصيات والأحداث، فالكاتب أسهب في وصف القرية وأماكنها وشخصياتها وبيتوها ومعيشتها واهتمامات أصحابها وأعمالهم، وما يتعلق بها في كل شيء، ومن ذلك ما ذكره الكاتب بضمير (الأنا)، حيث يقول: "**في "مجول" ولدت، ومن فيلا في المحلة على طريق الغيطان باسم صاحبها تسميت وبراسك الكبيرة وجسمك المدكوك تمشي مختالا بين أقرانك لتميزك رغم آلامك من البعض ومناداتك "بالأُذْعة"، أنت القصير أبو رأس كبيرة واسمك بنور الباشا**"[(١)].

حيث أشار الكاتب لقريته التي وُلِدَ وتربى فيها، هذه القرية التي تحيطها الأراضي الزراعية، كما ذكر الغيطان، وفي هذا دلالة على اعتزازه بقريته،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٢٢.

ومحبته لها، فهي مليئة بالذكريات منذ أيام طفولته، ثم يأتي مرة أخرى ليبرزها أكثر بوصف معالمها، حيث يقول: "**سماء مجول غائمة، والريح من حين لحين تفلت من فمها وتعوى، تجرى الوحوش الصغيرة في الأزقة والحارات تحتضن الهواء، تدور به أو تصده .. تغلق النسوة الشبابيك والأبواب، وتنادي الصغار، فيحط صمت .. كأنني أخاف، أتكوَّر جنب أمي، وأسقط الرأس مني على الفخذ.. تضع يدها المعروقة على صدغي، يلفني دفء ـ أنا المرعوش ـ فأغفو .. يستكين الدم في وجهي، وتصحو المرئيات في عيني، أغمضهما في تدفق، تنثال دونما توقف، وأفشل في كل مرة، أريد أن أميزها بعدما أجمعها في حجر عيني، تندلق وتسيل تحت قدمي فلا أعرف لها أول ولا آخر، ولا كيف .. هكذا دخلتني؟**

لحين أجمع أنفاسي، أتكأ عليها، أتعرف ملامحها.. كأنني اليوم أراها، بعد سبات عميق: طريقا لا نهائيا، يتلوى كأفعى بين صفين من أشجار الجازورينا والكافور والصفصاف والتوت، على يمينه تترقرق مياه البحر وتنساب في ليونة، وعلى شماله وخط الريم وجه المصرف الكبير، يوغل في تلافيفي ويبحر، وكلما امتد يضيق عليَّ أن أمشيه رضيت أم أبيت، كنت أم تلاشيت[1].

في المقطع السابق يصف الكاتب القرية التي نشأ فيها، بداية من سمائها وهوائها، وما يحيا على أرضها وما يمر في شوارعها كالكلاب في الأزق والحارات، وهو حينئذ كان صغيرا إذ ينام على رجل أمه ويشاهد هذه المشاهد التي علقت في ذهنه، وهذه هي الأوصاف التي توجد في أغلب القرى، وبهذه الأوصاف يستطيع الكاتب نقل الملامح الأصيلة التي تعيشها القرية،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٣١، ٣٢.

فوظَّف الكاتب بهذا الوصف البسيط الإشارات التي يستطيع القارئ أو المتلقي التعرُّف على ملامح القرية في المجتمع المصري، كما يلحظ أنَّه رسم صورة جلية واضحة المعالم للقرية وطبيعة الحياة التي تمثلت في الزراعة وأبعادها الرئيسة، والتي تجلَّت بوضوح في المشهد السابق، ثم يأتي مشهد آخر ليزيد الوصف أكثر دقة، فيقول: "**شهدت بداية عام ١٩٤١م أزمة حادة في السلع التموينية، وبدأت طوابير الخبز، آه، طوابير خبز مثلما يحدث الآن، وكان الناس يهجمون على المخابز للحصول على الخبز ويتخطفونه من حامليه، وأوشكت الأزمة أن تصل حد المجاعة غير أن كل دار في "مجول" ترى وراء أبوابها أجولة القمح والأرز، كان الناس يقولون أتى بها الرفاعي ويؤكدون لأنفسهم:**

- "سرقها من رومل وجنوده"، ويتهامسون فيما بينهم:

-"بيقولوا رومل في العلمين"، يضحك أبي، ويقول: جدك كان مات وشبع موت.

- أقول: ومن الذى أتى بالقمح والأرز؟

جلجلة الضحكة ترشني برذاذها فتصهل عيوني.

- أقول ببراءة من لا يصدق: أنت يا أبي!" (١).

من هنا يعد المكان بالمرآة العاكسة لنفسية ساكنيه، بما يحمله من طاقات تعبيرية؛ تكشف عن طبائعهم النفسية، بل والجسدية أيضا، وعليه فإنَّ الأماكن تصبح حاملة لقيم شعورية مؤثرة؛ يتضح من خلالها عمق الشخصية وأبعادها النفسية وتصرفاتها الخارجية (٢).

وقد جاء الوضع المكاني في الرواية العربية محددا أساسا للمادة الحكائية، ولتلاحق الأحداث والحوافز، ليدخل عنصرا فاعلاً، في تطورها، وبنائها،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤٩.

(٢) ينظر: جماليات التشكيل المكاني الزماني والمكاني، للدكتور/ إبراهيم نمر موسى، ص ٣١٤، مجلة فصول، القاهرة، مصر، مجلد ١٢، عدد٢، سنة ١٩٩٣م.

ونوعيتها، وطبيعة الشخصيات التي تتفاعل معها، وفي علاقات بعضها بالبعض الآخر، فقد أثرت نوعية المكان في صورة الأحداث، ومستوى الشخصيات، فالحكاية التي تتخذ من الريف مكانا لها تختلف في أحداثها، وشخصياتها، وصراعها عن الحكاية التي تتخذ من المدينة مسرحا لها، والتي تحدث في الأحياء الشعبية غير التي تحدث في الحياء الراقية، والتي تقع في صعيد مصر تختلف عن التي تقع في دلتاها، فالأحداث مختلفة، والشخصيات متباينة، والهموم متغايرة، والطموحات متمايزة(١).

كذلك يقول: "**كانت رائحة مجول في هذا اليوم خليطا من رائحة الجوافة والليمون والنعناع المغموس في ندى الصباح .. صحيح أنها مبان طينية واطئة متلاصقة مسنودة إلى جذع نخلة كأنَّها رابية في الهيش، أو كأنَّ النخلة حددتها وأصبحت علامة عليها فإذا ما اشتط الهواء وانقلب ريحا ودوت الزعابير وعلت دوامات السباخ من كل جانب**"(٢).

في اللوحات الفنية السابقة استطاع الكاتب أن يقدِّم القرية بوصفها بدقة متناهية، فكشف بوضوح عن حياة القرية وطبيعتها وحياة الريف ورزاعته المليئة والمتنوعة والتي يعتمد عليها أهالي القرية، كما أشار إلى عاداتهم وتقاليدهم وما يتصفون به من قيم وعادات وُجِدت في القرية، فيقول: "**لوجه مجول راحة تبعد غيظك، هواؤها ذو الرائحة المنعشة يزيح ما على قلبك من غضب، لا تحزن، أنت الفارس المغوار الذى زحفت إليها وكم كان سهلا، بعد غياب دام عنها،**

(١) ينظر: بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، تأليف/ د. عبد الفتاح عثمان، ص٦٠، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.

(٢) رواية نخلة الهيش، ص ٦٩.

وناسها الطيبون كرماء، استقبلوك بالترحاب والتهليل، وغنوا لك، وجوههم نطقت بذلك، وأنت تعرف معدنهم، خشان لكن طيبون"(١).

فاستطاع الكاتب في المقطع السابق إبراز عادات وتقاليد الحياة الاجتماعية لأهل قريته "**مجول**" والتي يحافظ عليها الأهل، فهم أهل كرم وضيافة وترحاب، مما يجعلهم أكثر ترابطا ومودة، وهذه عادات طيبة نشأ عليها أهل القرية، وهذا ما جعل كاتبنا "**إيهاب الورداني**" يعشق قريته، ويصفها بهذه الدقة، كذلك استطاع وصف القرية بما فيها من بساطة وبنايات، وهذه صورة مصغرة عكست الحياة العامة للقرية، والتي يعتمد أكثر وأغلب أهلها في المقام الأول على حرفة الزراعة. وبهذا استطاع الكاتب رسم صورة إبداعية ذات حساسية عالية لواقع الحياة في القرية.

٢- **الشارع:** أحد الأماكن المفتوحة والمهمة سواء في المدينة أو في القرية أو في الريف، وعن طريقه يصل الناس إلى ما يريدون من أماكن، والشارع مكان مفتوح يجتمع الناس فيه، به الأبنية العامة والخاصة، وقد ورد الشارع في رواية "**نخلة الهيش**" وذلك عندما ذُكر وصف شوراع القرية من انقطاع المارة بعد المغرب، حيث يقول: "**وأرخت ستائر المغربية في مجول؛ فبدا ليلها صامتا وكئيبا، ثمة هدوء، دائما يهبط قبيل أذان المغرب، فتخف الحركة في الأزقة والدروب والشوارع ولا تلمح أحدا**"(٢).

في المقطع السابق يصف الكاتب شوراع القرية بانقطاع المارة بعد المغرب، فكان ذلك مرآة عكست وصف شوارع القرية؛ لأنَّ أغلب عمل أهل القرية الزراعة وينتهي خاصة في هذا الوقت،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣.

حيث يبدأ عملهم في الحقول والغيطان والمزارع في الأغلب من بعد وقت الفجر مباشرة، وينتهي تقريبا عند دخول المغرب، فلا يوجد عندهم وقت لغير ذلك إلا القليل، ربما يأتي أحدهم بشيء من مستلزماته للزرعة أو لبيته، ثم يرجع لمنزله بسرعة؛ ليجهز نفسه لعمل الغد.

كذلك كانت الشوارع علامة من علامات الوعي، وقد ذكر ذلك الكاتب عندما أتى "النحاس باشا" لزواج أخته بعبدالرحمن أفندي أحد أبناء القرية، فانتشر ذلك الخبر في القرية، مما جعل شوارع القرية تُزين وتكتظ بأهلها وانتظار رؤيته، يقول الكاتب: "**قلت لي: وكأنَّما استيقظت مجول من سباتها .. هبَّت نسمات الفرح في كل بيت، وتزينت الأشجار والشوارع بالرايات الملونة والفوانيس، ودقت الطبول فوق الأسطح والمآذن والأجران، وعلقت في رقاب البهائم أجراس لها رنين صائت في تحركها، وخُيل للجميع أنَّهم بلا شك داخلون عصرا جديدا .. النحاس باشا في مجول.. زعيم الأمة في مجول.. أخت النحاس باشا ستتزوج عبد الرحمن أفندي.. لم يكن أحد رأى وجهه، لكن صوته يرن في الهواء "لا للمعاهدة البريطانية المصرية" وكأنما تنقله الطيور المهاجرة التي تحوم في جماعات حول "نخلة الهيش" وتلف وتدور حولها.. أسراب تعقبها أسراب متتالية، وكأنَّما تتنزل من سقف السماء لتشهد عرس مجول المبارك**"[1].

فاستطاع الكاتب أن يبز مكانة "الشارع" في القرية، حيث يلتقي فيه الناس جميعا في أي ساعة ليلا أو نهارا، مهما كانت طبقاتهم الاجتماعية وأعمارهم وانتماءاتهم، وشتى عوامل الفوارق المادية، وبذلك يتضح من المقطع السابق أن "الشارع" مكان لالتقاء الشخصيات سواء في أثناء المرور،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٦٨.

أو الأفـراح والأحـزان، أو المناسـبات الاجتماعيـة فـي أغلـب الأحيـان، فضلا عن الزيارات الواجبة لأبناء القرية وإقامتها فيه في القرى بفرشه والجلوس فيـه، أو الاسـتقبال فـي الـدواوير التـي تكـون فـي الشـوارع، وبهـذا وظَّـف الكاتـب "الشـارع" وكشـف عمـا يحـدث فيـه فـي قريـة "**مجـول**" التي هي إحدى النماذج الكثيرة من القرى في المجتمع المصري.

٣- **السـطح:** المكـان الـذي يعـيش فيـه أو عليـه أغلـب السـكان فـي القريـة، وربمـا يجلسـون فيـه وقتـا لـيس بالقليـل، وإن كـان يعـيش فيـه بعـض السـكان مـن الطبقـات المعدمـة، لكـن فـي القريـة يكـون أحـد منافـذ البيـت فـي الأغلـب، وربمـا يسـتخدم فـي الجلـوس بعـد انتهـاء اليـوم فـي الهـواء الطلق أو بعد الذهاب لما يربونه من الطيور.

وقـد ذكـره الكاتـب فـي الروايـة حيـث يقـول: "**كعادتـه تمسـح عينـاه البيـوت علـى الصـفين مـن بعيـد.. يـرى المسـرعين مـن الرجـال للابتعـاد أو التـواري عـن طريقـه ويـدرك بقلبـه النسـوة الواقفـات فـوق الأسـطح وأعـالي الزواريـب لرؤيتـه.. مـا مـن أحـد يجـرؤ علـى مقابلتـه فـي طريـق أو النظـر إليـه عـن قُـرب، كـانوا يوقتـون حضـورهم بغـدوه ورواحـه وكأنَّ وجوده إيذان بوجودهم**"(١).

فاسـتطاع الكاتـب فـي المقطـع السـابق إظهـار حالـة الخـوف والفـزع التـي أصـابت النـاس بعـد مـرور موكـب "**سـيدي الرفـاعي**" كمـا يعتقـد هـؤلاء، وقد ويغلب على هذه المواكب ضرب الدفوف وقرع الطبول وارتفاع الأصوات بالـذكر؛ ممـا يلقـي الرهبـة فـي نفـوس كـل مـن يـرى أو يسـمع هـذا الموكـب، ولـذلك أصـاب النسـوة الفـزع والخـوف عنـد النظـر مـن أعـالي البيـوت مـن فـوق

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤٦.

الأسطح، وقد وُجِد ذلك في قول الكاتب مما ذكر في المقطع السابق: "**ما من أحد يجرؤ على مقابلته في طريق أو النظر إليه عن قُرب**"، وهو اعتقاد باطل وخرافة سيطرت على قرية "**مجـول**"، وأغلب القرى في المجتمع المصري، وهكذا استطاع الكاتب الكشف الدقيق عمَّا يدور في عالم الشخصية الباطنة مما يمر بها من أحداث، أدت إلى الهلاوس والأفكار المضطربة والصراع النفسي المرتبط بهذا الموكب الذي يفزع منه أغلب أهالي القرية عند مروره في أثناء حمله ممن يقومون على خدمته، وهذه الأمور تحدث حتى عصرنا، كما يعتقد من خروج الشيخ وحمله على جمل وعليه هودج ولا يوجد بداخله أي شيء، ويظن الناس ويتخيلون أن هذا الشيخ، وهذا وقت خروجه، وهذا ما يعتقده ضعاف النفوس والعقيدة، وما يظهر حينها تجليات وبشريات وأدعية، فاستطاع الكاتب توظيف المكان "السطح"؛ ليُمزج مع هذا الموكب ويتفاعل معه ممن فوق هذه الأسطح في القرية عند مرور هذا الموكب.

كذلك كانت "الأسطح" مكانا لبث مظاهر الفرح والسرور عند حدوث شيء عظيم في القرية، ومن ذلك عند زيارة "**النحاس باشا**" واستقباله لزواج أخته من أحد أبناء القرية، فكان لهذا الحدث أثر كبير في نفوس أهل القرية، يقول الكاتب: "**هبَّت نسمات الفرح في كل بيت، وتزيَّنت الأشجار والشوارع بالرَّايات الملونة والفوانيس، ودقت الطبول فوق الأسطح والمآذن والأجران، وعُلقت في رقاب البهائم أجراس لها رنين صائت في تحركها، وخُيل للجميع أنَّهم بلا شك داخلون عصرا جديدا .. النحاس باشا في مجول.. زعيم الأمة في مجول.. أخت النحاس باشا ستتزوج عبد الرحمن أفندي**"[1]، في المقطع السابق وظَّف الكاتب "السطح" بتفاعل الشخصيات مع الأحداث التي تحدث في القرية،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٦٨.

مما أسهم بالدَّور الفعَّال في تناول المكان وأهميته في الرواية، واصفا حال مَنْ يصعدونه ويستخدمونه خاصة النساء في القرية واستقبالهم مثل هذا الحدث وغيره من الأحداث الطارئة والنادرة عليهم، فأصبح "السطح" أحد الوسائل المهمة في القرية والتي تسهم بشكل كبير وتشارك في معظم الأحداث.

وبهذا أصبح "السطح" رمز السعادة والسرور، تنقل منه الصيحات والزغاريد والتصفيق، وهذا أدعى لكل من يسير في الشارع أن يتفاعل ويتبادل الفرح فيما بينهم، بكل ود واحترام، وربما أصبح ذلك من العادات التي وُجدت في القرية.

٤- **شجرة الجميزة:** أحد الأماكن البارزة في القرية، وهو مكان خطر، حيث تقع به الحوادث المفجعة والمؤلمة، كما هو معروف عند أهل قرية "مجول"، يقول الراوي على منوال المونولوج الداخلي: "**لماذا أعود إليها، إلى مجول، إلى رجل الجميزة، إلى جدي الذي لم أره، إلى حكايات أبي، وطبطبات أمي، إلى أرض الهيش، وما يفصلني عن كل ذلك جبال من نور، أو مرايا بلّور، تساقط عليها تذكاراتي فتنعكس ملامحي، وكأنّي بألف وجه وقلب واحد؟**"[(١)].

في المقطع السابق يلحظ اشتياق الكاتب لقريته "**مجول**" حيث يعود لذكرياته وتاريخه، رُغم أن في القرية مثل هذا المكان الموحش "شجرة الجميزة"، فقد كانت نهاية حياة "جده" بالقتل في هذا المكان، حيث يقول: "**جدي ـ كما قلت لكم ـ لم يكن كبير القرية ولا عمدتها ولكن في القرى المجاورة عرفت مجول به واقترن اسمه بها "مجول الرفاعي" أو "رفاعي مجول" كما أضحت الجميزة علما عليه أو هو علما لها، جدي قُتل غدرا قرب الجميزة،**

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤٣.

وكل الناس بعدها تعلم أن أشجار الجميز بالقرب منها أو في ظلها مكان مناسب للقتل بعيدا عن الأعين"(١).

من خلال المقطع السابق استطاع الكاتب توظيف المكان وإظهار خطورته التي تهدد بالموت لأبناء القرية مما يجعل أغلب أهل القرية يتجنبون المرور في هذا المكان، حتى وصل بهم الأمر إلى الخوف الشديد والفزع عند ذكره، وفي هذا دلالة على براعة الكاتب في تصوير هذه الخرافة التي سيطرت على الكبير والصغير من المارة في هذا المكان من أهالي القرية، حتى أصبح هذا المكان يُعرف للجميع بخطورته، وربما يصاب بعض الأهالي بالأمراض النفسية من شدة الخوف والفزع من هذا المكان، وهذه الأخبار تناقلها الرواي عن أبيه، وربما كانت حادثة قتل "جده" بُنيت عليها الحكايات ونُسجت حولها الخرافات والأساطير في هذا المكان، وبهذا يمكن القول إن الكاتب نجح في نقل هذه الخرافة التي سيطرت على ممن يسكنون في هذا المكان بقرية "مجول"، وما هي إلا خرافات توارثتها الأجيال من أهالي القرية عن أجدادهم.

ويمكن استجلاء هذه الدلالات عبر مجموعة من التمظهرات العلائقية التي اعتمدها الكاتب في إبراز صورة المكان، وجعله مكانا يضطلع بأدوار فاعلة ومؤثرة في حركة الشخوص، وأول هذه الدلالات هي "الانفعال" الحاصل بين الشخوص والأمكنة التي تتعايش فيها، وقد برز ذلك واضحا في جملة التحولات التي رافقت مسيرة السارد "الراوى" الأديب "**إيهاب الورداني**" الذي ينفعل بواقعه ويستشعر ما يمر به من أحداث؛ لأنه من الطبعي أن يُحب الإنسان المكان الذي نشأ فيه وعلى أرضه وُلد، ولذلك "أبرز ما يتجلى الشعور بهذا الحب والانتماء هو التفاعل مع ما يمر به من أحداث تجعله أكثر حميمية والتصاقا به،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤٦.

لأنَّ حُبَّ المكان هو حسٌّ أصيل وعميق في الوجدان البشري، وخصوصا إذا كان المكان هو وطن الألفة والانتماء"[١].

ولذلك ذكر الكاتب مقتل "جده" بالتفصيل كما ذكره له والده، يقول الرواي: "**في نهار يوم غائم، لم يعد أحد يذكره عام ١٨٣٥م، كان يمشي كعادته وعصاه تدق الأرض تحت قدميه بمحاذاة محطة الدلتا، وقبالة الجميزة دوت طلقتان في الفضاء تلفت يمنة ويسرة، ورفع عصاه لأعلى ثم دار بها قبل أن يجاهد للوصول إلى جذع الجميزة، وأسند ظهره إليها، ما من أحد ظهر، ولا صريخ ابن يومين**"[٢].

وبهذا استطاع الكاتب معالجة هذه الخرافة التي تطارد أهالي القرية بهدمها، والتهوين منها ومن شدة الخوف الشديد الذي يطارد المارة الذين يسكنون بجوار هذا المكان "**شجرة الجيزة**"، وهذه الظاهرة لا يخلو منها المجتمع المصري خاصة في القرى حتى الآن، فهناك من الأماكن لا يستطيع أحد الدخول إليها والمرور من عندها أو بجوارها أو الجلوس فيها، وربما لما سُمع مثل هذه الحكايات والخرافات، حُفرت في قلوب وعقول الكثير من البسطاء وضُعفاء النفوس، من هنا استطاع الكاتب أن يعالج هذه الظاهرة التي وُجِدت في قريته وأغلب القرى في المجتمع المصري، فقدَّم البراهين والأدلة التي تنهي وتقضي عليها، وهي أن مقتل "جده" كما ذكر والده له كان في النهار، الأمر الثاني أن هذا المكان بعيد عن أعين الناس وقلَّما يُذهب إليه، وكان القتل كما ذكر "**بطلقتين دوت في السماء**" كما ذكر الرواي"، إذن القتل كان من البشر وليس من جنس آخر غير معلوم كالجن والأشباح

(٢) دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، تأليف الدكتور/ محمد الشوابكة ص٣١، مجلة أبحاث جامعة اليرموك، مجلد ٩، عدد ٢،عمان، الأردن، سنة ١٩٩١م.

(٢) رواية نخلة الهيش، ص ٤٧.

وغيرهما التي تأتي بخاطر وعقول أهالي القرية، فاستُغل هذا المكان؛ لتنفيذ هذه الجريمة البشعة التي بُنيت عليها فيما بعد الخرافات والأساطير، وبهذا التوضيح يمكن التهوين والقضاء على الرعب الذي يطارد أهل القرية عند "شجرة الجميزة"؛ لينتبه أصحاب العقول السليمة لمثل هذه الخرافات ولا يقصونها على أبنائهم؛ لأنَّ مثل هذه الحكايات لها تأثير على الكثير من الناس، خاصة أبناء القرى والأرياف في المجتمع المصري، وما هي معتقدات وأكاذيب طُبعت في أذهان الناس عن طريق سرد الآباء والأجداد لهذه الحكايات والخرافات.

٥- **السكة:** مكان مرور وانتقال بين أبناء القرية وربما القرى المجاورة، يمر الناس من عنده، مليء بالشجر والنخيل، وقد تكون السكة الحديدية بجواره أو تقطعه، بعيد عن المناطق السكنية فيما مضي، وربما يسكن بجواره القليل من الناس، وأغلبهم ممن لهم أرض زراعية، وقد كان هذا المكان من الأماكن الموحشة التي ذكرها الكاتب، حيث يقول: "**كانوا يرون الثعابين تزحف على السكة وكأنَّها منومة وجدك يتخطاها ويتفحصها ويمسك بأكبرها، يفصل رأسه ويرميها ويضعه على راكية النار ثم يأكله وهم على البعد ينظرون**"(١)، في المقطع السابق استطاع الكاتب ذكر أحد الأماكن التي تهدد أهالي القرية بالخطر والموت فهو مكان مليء بالثعابين التي تقتل من يمشي في هذا المكان، وربما أتى بالفانتازيا عندما ذكر موقف "جده" وقوته وعدم رهبته لهذا المكان، لدرجة أنَّه كان يستطيع السيطرة على مثل هذه الثعابين، بل يقطع رأسها ثم يتناولها في النهاية، وفي هذا دلالة كبيرة على قساوة قلب "الجد" وجرأته، ولم يكتف بهذا الوصف، كما أنَّه وصف شخصيته بأنَّه صاحب قلب طيب وكريم، رُغم ما وصل إليه من هذه الجرأة التي قلَّما يفعلها أحد من البشر، ومن المواقف التي تدل على شجاعته

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٥٠.

ونخوته، قوله: "**أمضى نهاره وليله يحش في البوص ويكومه في الحواف ويردمه بعد ذلك، عملية لا يقدر عليها إلا رجال، أما رجل لا حول له ولا حمار لديه فمن الجنون ما يفعل، حتى إنَّ المارة لم يصدقوا أن "الرفاعي" وحده قادر على ردم الخليج، بل كانوا يتعجبون من فعلته وقدرته وجرأته في خوض الخليج المليء بالأفاعي والهوام والمسكون بالمردة والجان وما لا يعلمون، كانوا يرون الثعابين تزحف على السكة وكأنَّها منومة وجدك يتخطاها ويتفحصها ويمسك بأكبرها، يفصل رأسه ويرميها ويضعه على راكية النار ثم يأكله وهم على البعد ينظرون**"[(١)]، يلحظ في المقطع السابق وصف شخصية "جده" الخارجية، فهو يمتاز بالقوة العضلية التي جعلته يقوم بهذه الأعمال الشاقة، رُغم ما يواجه من مخاطر في ردم هذه المياه التي كادت أن تقضي على الأرض التي سلَّمتها له المرأة "الجلَّادة" التي تزوجها فيما بعد، وأصبح يمتلك أرضها فيما بعد، يقول الراوي:"**قل شهر..اثنان..خمسة، ردم الخليج وصارت القراريط التسعة فدانا، وصار جدك ـ زوج الجلَّادة ـ من يومها الرفاعي، هل كان جدك مدفوعا لموافقتها ليتزوجها أم أنَّه رمى نفسه في الهيش حين أدرك أنَّه لا يملك شيئا غير نفسه، وأنَّ أفعاله هي ذاكرته التي ستؤول عليه بالنعم يا جمال؟**"[(٢)]، يوضح الراوي أنَّ "جده" يمتلك بجانب القوة العضلية قوة الإرادة والعزيمة فقد مكث في إصلاح الأرض "التسعة قراريط" بردمها، خمسة أشهر كما ذكر، فقد كانت تغطيها مياه الخليج، وقد ازدادت هذه القراريط لتصل "فدانا" بعد الاستصلاح والتعمير، وهذا العمل يفعله من يريدون استصلاح الأراضي لتحويلها لأرض صالحة للزراعة بعد أن كان يصعب زراعتها، ولم يكن في هذا الوقت الآلات الحديثة التي تُسهِّل هذه العملية

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

من استصلاح الأراضي وتعميرها، لتصبح في النهاية صالحة للزراعة، فواجه هذه الصعوبات التي اعتمدت في بداية الأمر ونهايته على مجهوده المبذول بالاستعانة بقوته العضلية وعزيمته ومعنوياته وطموحاته.

وحين عمد الروائي إلى إسقاط مجموعة من المعاني الوصفية على المكان الروائي، إنما يفعل ذلك بقصد توضيح لطبيعة علاقة المكان في تفاعلها مع الشخوص الروائية في النص الروائي، كما أنَّ اختلاف الصفات وتنوعها من مكان إلى آخر في الفضاء الروائي، قد يؤدي دورا مهما في رصد الفروق الاجتماعية والنفسية والمذهبية عند شخوص الرواية، هذا فضلاً عن أنَّ الدلالات النابعة من هذه الفروق يمكن أن تكون تعبيرا عن رؤية شخوص الرواية للعالم وموقفهم منه(١)، وبهذا يلعب المكان المفتوح دورا بارزا وفاعلا في رسم صورة جلية لحالات الشخصيات النفسية وتفاعلها مع الذكريات والآمال والسعادة، أو ما يجول بداخلها من المخاوف والقلق والأرق والتعذيب النفسي تبعا لطبيعة المكان وأحداثه المرتبطة بالشخصية، فالأمكنة جميعها قادرة على إثارة انفعال الأشخاص والكشف عن دواخلهم المتغيرة، والمكان بهذه الصورة يعمل عمل المرآة العاكسة لكشف أشياء متناقضة(٢)، وبهذا استطاع الكاتب توظيف هذا المكان الموحش، الذي تحول إلى فيما بعد إلى أرض صالحة للزراعة، مما جعل الناس فيما بعد تلتف حوله وتعيش فيه، كما أنَّه كشف عن أحد أعمال القرية المهمة في الجانب الاقتصادي، وهي استصلاح الأراضي الزراعية، وهذا يدل على أنَّ هذه القرية تسهم في تنمية الاقتصاد، منذ هذا الزمن.

(١) تجليات ذاكرة المكان في السرد النوبي المعاصر، قراءة في رواية "الشمندورة" لـ"محمد خليل قاسم نموذجا، للدكتور/ لطفي فكري محمد الجودي، ص ١٤٧٦، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد الخامس، سنة ٢٠١١م.

(٢) استراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، تأليف الدكتور/ مصطفي الضبع، ص ٧٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.

٦- **نخلة الهيش:** من الأماكن المهمة والرمز الذي بنيت عليه رواية "**نخلة الهيش**" حيث استخدمه الكاتب في وصف هذا المكان الذي التفت حوله الرواية، فيأخذنا الكاتب منذ الوهلة الأولى من بداية الرواية للتعرف على هذه النخلة وأوصافها ونشأتها عن طريق الفانتازيا، ومنها إلى الدخول في الواقع، يقول الراوي: "**مجول مثل عجوز هدها التعب إثر سفرة طويلة، استراحت تحت جذع نخلة شقت لنفسها أرضا في سبخ الهيش، مَنْ يتأملها للمرة الأولى تأخذه رجفة وتبعث في جوانحه رهبة، سرعان ما يدرك أن شراكها ملفوفة لمن وطأها بقدمه فلا يجد مفرا من أن يحل فيها، ويعجب كيف استكان لها سيدى نصر، وسيدى حسب الله، وسيدى فايد، وسيدى عبد الله المشيع وهم غُرباء، بُعداء، كيف ارتضوا المثول بين يديها؟**"[١].

في المقطع السابق يصف الراوي" **نخلة الهيش**" التي كانت السند والقوة لقرية "مجول" حين أصابها التعب والإرهاق، فلجأت لـ"نخلة الهيش"؛ لتستند عليها، فأبرز الكاتب أهمية هذه النخلة، وهذا أدعى في إثارة الدهشة ويجعل لها أهمية كبيرة في هذا المكان الذي توجد فيه، وهو بذلك يحاول إقناع المتلقي أنَّه في عالم الواقع وليس في عالم الخيال، وهذا الإيهام خاصية من خصائص الواقعية السحرية، وهذه النخلة وصفها الكاتب ووضع لها من الصفات الحسية كالحركة والقوة والسيطرة والحماية والدفاع، حتى استطاعت أن تشق لنفسها أرضا في سبخ الهيش المتواجدة فيه كما ذكر، لدرجة استجابة الأولياء والمشايخ لها في قرية "مجول" كما ذكر الكاتب، وقد أكده الناقد المغربي حميد لحمداني، حينما أقرَّ بأنَّ تشخيص المكان في الرواية، هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، وبالتالي فالمكان هو الذي يؤسس

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤٠.

الحكـي؛ لأنَّـه يجعـل القصـة المتخيلـة ذات مظهـر مماثـل لمظهـر الحقيقـة[١]، كما أن هذه النخلة شاهدة على الأحداث التي حدثت في القرية، ومن ذلك مجيء "النحـاس باشـا" للقريـة عنـد زواج أختـه مـن أحـد أبنائهـا، يقـول الـرواي: "**النحاس باشا في مجول.. زعيم الأمة في مجول.. أخت النحاس باشا ستتزوج عبد الرحمن أفندي.. لم يكن أحد رأى وجهه، لكن صوته يرن في الهواء "لا للمعاهدة البريطانية المصرية" وكأنَّما تنقله الطيور المهاجرة التي تحوم في جماعات حول "نخلة الهيش" وتلف وتدور حولها.. أسراب تعقبها أسراب متتالية، وكأنما تتنزل من سقف السماء؛ لتشهد عرس مجول المبارك**"[٢].

ولـيس معنـي هـذا أنَّ الروائـي حـين يلجـأ إلـى وصـف الفضـاء المكـاني بمـا يتفـق فـي الروايـة مـع مظهـره الخـارجي للحقيقـة، أو نابعـا مـن مرجعيتـه الواقعية.. يتنافى مع شاعرية أو جمالية المكان الروائي، لكنه يرمي من وراء ذلك إلـى بـث المصداقية فيما يروي؛ ذلك أن الروائـي حين يصف المكان الطبيعي، يستثمر عناصره الفيزيائية لتجسيده، بحيث يجعلنا نقف على مظهره الخارجي، أو صورته الفيزيائية. وإنَّه بتوظيفه هذا للعناصر المكانية المحسوسة في تشكيل مكانه المتخيل، إنما يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي ويُشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعا بالحقيقة أو تأثيرا مباشرا بالواقع[٣]، وفي هذا دلالة على أنَّ هذه "نخلة الهيش" أصبحت مكانا للطمأنينة ونصرة للمظلوم، وحماية للهاربين،

(١) ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، تأليف الدكتور/ حميد لحميداني، ص٦٥، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت آب، سنة ١٩٩١م.

(٢) رواية نخلة الهيش، ص ٦٨.

(١) ينظر: بناء الرواية، تأليف الدكتورة/ سيزا قاسم، ص ٨٢.

وذلك عندما ذَكَرَ "جَده" ذَكَرهَا مباشرة بعده، فهي مرتبطة به، يقول الراوي: "**كان يبدأ صباحه بمواجهة الأمور التي عقدها بالأمس والتي تزاحمت في وهمه أنه قاضيها.. ليله كله أو نهاره كله.. وعيه وشعوره.. فحولته ومروءته.. اختياراته وانحيازاته جميعها تسهم في الحلول المرضية التي يتخذها حتى وإن اقترب من تمسكه بواقعه أنَّه المنذور لمجول .. أنه من نسل الرفاعي الذي يضع القوانين ويتحكم فيها بواسطة حدسه الذي لا يخيبه أبدا**"(١).

وبهذا استطاع وضع المتلقي أمام هذا الحدث الخيالي؛ مما أدى إلى مشاركته وتفاعله معه في ذلك، فقد جعل لـ" **نخلة الهيش**" صفات القوة التي اتضحت من خلال النماذج السابقة، مما يجعل القارئ يُصغي له الآذان، وبهذا يمكن القول إن الكاتب وظف المكان وأضفى عليه الفانتازيا من خلال تلك الأوصاف السابقة في "**نخلة الهيش**"، ولأهميتها التفَّ حولها أهل القرية، وعُمِّرَ هذا المكان، وازداد النماء والخير والثمار والزروع.

إن توظيف المكان في الإبداع الروائي، يأتي من أهم الوسائل الفنية ذات الأعماق البعيدة؛ لما يحمله من ملامح ذاتية، وسمات جمالية وعواطف إنسانية وتجارب اجتماعية، تحيل العمل إلى كل فني متكامل(٢).

ومن خلال هذه النماذج السابقة يتجلى لنا حضور المكان السحري ودوره الفعال في سير الأحداث بدقة متناهية، وبناء هذا الرمز العجائبي " **نخلة الهيش**" مما يجعل للمكان دور مهم في الواقعية السحرية من خلال ما أضفاه الكاتب من ملامح عجائبية.

---

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٧٠، ٧١.

(٢) ينظر: السرد القصصي وجماليات المكان، للدكتور/ أحمد طالب، ص ٢٤، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٤٠٣، السنة الرابعة، والثلاثون سنة ١٤٢٥هـ ،٢٠٠٤ م.

المبحث الثاني

جماليات المكان المغلق في رواية "نخلة الهيش"

كان المكان المغلق حاضرا في رواية "**نخلة الهيش**"، حيث اختاره الروائي كميدان لحركة الشخصيات، والمكان المغلق: مكان العيش والسكن الذي يأوي إليه الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية(١)، وهذا المكان محدود بحدود تفصيلية عن الخارج مما يجعله يتصف بالضيق، فتكون بذلك حركة الشخصيات محدودة بما يسمحه من ممارسة لخصوصيتها، إضافة إلى ما قد يمنحه لها من حماية وألفة، ومن نماذج الأماكن المغلقة التي ذكرها الروائي "**إيهاب الورداني**" ما يلي:

١- **البيت:** يعد البيت المكان الأول الذي يوجد فيه الإنسان، فهو عالم الشخصية التي تتكشف خبايا نفسه، وفيه يعبر عن مواقفه إزاء الناس والأشياء، فهو مكان الألفة والحماية... ويشكل فضاء البيت الأسري أحد الفضاءات المهمة التي يهتم به القاص اهتماما خاصا لما تتميز به من أهمية خاصة على البعد النفسي، وبما تشعره عملية التذكر من أحاسيس ومشاعر(٢)، ومن نماذج ذلك عندما وصف الكاتب "البيت" الذي يعيش فيه، حيث يقول: "**لا دقيق ولا سمن ولا عسل في الدار.. والعصيدة أكلتنا المفضلة، والجبنة القديمة والسريس والبصل غداؤنا كل يوم.. صرخت أمي:**

ـ قم يا ورداني اتصرف.

تَصرُّف أبي الوحيد السكوت، والنظر في السماء الواسعة التي تخيم على الجميع وتساوى بين الجميع.

---

(١) ينظر: المكان في الرواية البحرينية، تأليف/ فهد حسين، ص ١٦٣، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر: المكان في الرواية البحرينية، تأليف/ فهد حسين، ص ١٦٣.

ـ ربك موجود يا مسعدة.

ومسعدة دموعها طالعة نازلة، ونهنهتها موجات حارقة.. وأبي يتحاشى النظر إليها .. كأنَّه يستعطفها:

ـ أسرق يعني، ومن أسرقه؟(١).

في النموذج السابق صوَّر الكاتب الحياة داخل البيت، والظروف وضيق الحال الذي تمر به أسرته في الوقت آنذاك، فربط الكاتب المكان بشخصيته ومدى تعلقه بأسرته ومحبته لها، ثمَّ أشار إلى شرف أبيه وقناعته، وذلك في قوله: "**أسرق.. ومن أسرقه؟**" بهذه الكلمات يدل على أن الأب يربي أبناءه على الحلال؛ رُغم ضيق الحال، ثم يتطرق إلى مساعدة الأب في أعمال المنزل، عندما قال بعدها: "**ألصق نفسي جوار أبي وأنقل نظري بينه وبين أمي.. كان يمسك بيده اليسرى وابور الجاز، وبيده اليمنى يشد كبَّاسه ويضغطه في أنفاس متلاحقة.. فط سرسوب الجاز من هول الضغط وطرطش على برَّاد الشاي فأزاحه أبي بعصبية بدت عليه واستغفر ربه ثلاثا**"(٢).

استطاع الكاتب في المقطع السابق نقل الظروف المعيشية التي تمر بها أسرته، وربما كان هذا حال الكثير من الأسر في القرية، فكانت المعيشة صعبة في الوقت آنذاك.

ولهذا فإن "الذكريات ساكنة، كلما كان ارتباطها بالمكان أكثر تأكيدا كلما أصبح أوضح، وإنَّ وضع الذاكرة في الزمن هو فعل كتاب السيرة، وهي تتوافق مع نوع من التاريخ الخارجي، لاستعمال خارجي، يريد الكاتب نقله إلى الآخرين"(٣).

---

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣.

(٣) جماليات المكان، تأليف/غاستون باشلار، ترجمة/ غالب هلسا، ص٣٩، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة السادسة، بيروت، سنة ٢٠٠٦م.

ورُغم ذلك يعتزُّ الكاتب بهذه الحياة التي تتسم بالسعادة والتفاهم؛ رُغم ضيق الحال، فهذا البيت الذي عاش فيه بطل الرواية حياته التي قضاها في فقر وشقاء، إنَّه بيت من خلال هذا الوصف يشير إلى القلق، كما يدل أيضا على وضعه الاقتصادي والاجتماعي المترد؛ وهذه البيوت من خلال وصفها تدل على الفقر والشقاء وضيق الحال التي تعبر عن حياة أصحابها ومعيشتهم.

ولأنَّك إن وصفت البيت بالضرورة وصفت الإنسان الذي يعيش فيه، والمكان في علاقته بالشخوص الروائية يعد الوعاء والحيز الذي يستوعب فعلها، وحركتها، فالشخوص الروائية لا يمكن لها أن تعيش في حيز خارج إطار المكان، ففي المكان ولدت، وعليه نشأت، وفيه تموت، والمكان ليس فضاء جامدا تتعرقل فيه مسيرة الشخوص، بل هو فضاء مرن قابل للتفاعل معها؛ يستجيب لها ويتأثر بها، ولذلك فإن المكان في حركة أخذ وعطاءٍ مع الشخصيات الروائيّة وأحداثها يتوجه بوجهتها، ويرتبط بحركتها، ويقدم بما يدفع أحداثها إلى الأمام دائما(١).

وربما أراد الكاتب أن ينقل إلينا صورة حية عما كانت عليه المعيشة في هذه القرية في الوقت آنذاك من خلال هذه العينة التي أتى بها، بحيث يبرز للقارئ أو المتلقي واقع الحياة البدائية البسيطة لهذه القرية، ورُغم ذلك يسود الأسرة التفاهم والسعادة والود والمحبة، وقد وضَّح الكاتب ذلك بقوله: "**كانت أمي على عتبة المندرة متكومة على نفسها لا تزال تبرطم بكلمات متآكلة الحروف .. شقشقات النور تتسلل من خصاص الشباك.. لم أفهم أو أميز منها شيئا، غير أن أبي في لمحة رفع وابور الجاز، وأطاحه ناحيتها.. أحدثت الخبطة دويا في ضلفة الباب.. هل كان يرمي أمي أم من غضبته**

(٢) ينظر: جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، تأليف الدكتورة/ أسماء شاهين، ص١٧، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، سنة ٢٠٠١م.

وغليـــان مـــا فيـــه ومـــن كلامهـــا قـــذف الوابـــور ناحيتهـــا؟[١].

في المقطع السابق يوضح الكاتب الاحترام المتبادل بين الزوج وزوجه وأبنائه، وتقبل الآخر، مهما وصل به الحال من صعوبة التعامل أو القسوة أو الشدة سواء بالقول أو بالفعل، وذلك من خلال الجو الذي استطاع الكاتب نقله إلينا، فهذا الأب غضب بسبب الظروف القاسية التي يمر بها وأسرته، فبيَّن الكاتب عُمق الشخصيات وتفاعلها مع المواقف داخل البيت كالعصبية التي صدرت من الزوج في أثناء حديث الزوجة معه، وقد بيَّن الكاتب ذلك في المونولوج الداخلي، حيث يقول:" **أنت الآن لا تعرف .. وظللت طيلة الستين عاما كلما تذكرت لا تكاد تفرق بين حب أبيك لأمك وغضبته منها .. وحين تعيد المشهد على أمك تقول: عمره ما غضب مني ولا عمري آذيته .. ثم عبست:**

ـ قم فز من جنبي.

أضحك وأقبِّل رأسها وأرى على البعد في عينيها أبى وهى تحضنه وتترحم عليه .. ثم تقول: تعرف أنت إلى حد كبير تشبهه"[٢].

ومن خلال هذه المشاهد السابقة يستطيع القارئ أو المتلقي إدراك قيمة تعامل رب الأسرة في القرية في هذا الوقت، فأبرز من خلالها حالة الضيق التي وصلت إليها هذه الأسرة، وفي الوقت نفسه تمتلئ الأسرة بالعطف والحنان والدفء فيما بينها من ارتباط عائلي وثيق بين جميع أفراد الأسرة، وربما أراد الكاتب أن يأتي بصورة مُصغرة للوطن، وقد استطاع أن يصف ما بداخل البيت وصفا دقيقا، وهذا أتى عن طريق الاسترجاع، فاسترجع ذلك حين طفولته، المشعة بالحنين الذي هو من مكونات الانتماء

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣، ٢٤.

وعلاقة الإنسان ببيئته وجذوره، وهكذا صور الكاتب الاحترام المتبادل في القرية بين أفراد الأسرة، وهذا ما جعل حياتهم طيبة لا يوجد بها نزاعات، رُغم بساطتها، كذلك منذ البداية في النماذج التي صوَّرها الكاتب بين الزوج وزوجه يلحظ احتضان الزوجه أفراد الأسرة على العمل وتحسين المعيشة، وبهذا استطاع الكاتب نقل واقع القرية من داخل البيت، فكان يسود فيه جو الود والإخاء والاحترام والعمل والنشاط.

٢- **المندرة:** مكان بداخل البيت معد للجلوس فيه واستقبال الضيوف، خاصة في المناسبات، ومن ذلك ما ذكره الكاتب حين كانت الزوج تتحدث مع زوجها عن البحث عن عمل؛ لتحسين معيشتهم، وكان الأب يجلس ويستمع لزوجه، فنهرها بعصبية وانفعال حاد، وربما كانت هذه الصفات التي يتسم بها أبناء قريته وأبناء القرى عامة في الأغلب فيما مضي، يقول الرواي: "**كانت أمي على عتبة المندرة متكومة على نفسها لا تزال تبرطم بكلمات متآكلة الحروف .. شقشقات النور تتسلل من خصاص الشباك .. لم أفهم أو أميز منها شيئا، غير أنَّ أبي في لمحة رفع وابور الجاز، وأطاحه ناحيتها.. أحدثت الخبطة دويا في ضلفة الباب .. هل كان يرمي أمي، أم من غضبته وغليان ما فيه ومن كلامها قذف الوابور ناحيتها؟**"[(١)].

فاستطاع الكاتب توظيف "المندرة" في حديث الأسرة في تناول شئونها؛ للتشاور فيما يحقق المستقبل الأفضل الذي تسعى إليه الأسرة في التوصل لأفضل الأمور، فاستخدم الكاتب "المندرة" للتواصل بين أفراد الأسرة؛ لأن هذا المكان يجلس فيه أفراد الأسرة أكبر قدر من الوقت في البيت، وأغلب بيوت القرية عندها مثل هذا المكان، فهو شيء أساس في البيت فيما

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٢٣.

مضى، وربما يوجد بقلة في هذا الوقت، فهذا المكان يأخذ أكبر وقتهم وبعدها ذهاب كل واحد من أفراد الأسرة إلى غرفته للنوم، وربما تكون "المندرة" أحد الأماكن التي تتخذ للنوم والراحة في نهاية اليوم.

وبهذا استطاع الكاتب توظيف مكان" المندرة" وتفاعل الشخصيات وتحركها فيه، كما أظهر هنا شخصية المرأة في البيت، والتي كانت بمثابة الموجه والناصح، وهذا ليس بغريب على القرى في المجتمع المصري، فتعيش الأسرة أسوء الأحول من الفقر وقلَّة العيش، لكن وُجِد الاحترام والمودة والسعادة، وتقبُّل الآخر، وبهذا لا تغيب القيم والأخلاق والعادات والتقاليد الطيبة التي نشأت عليها القرية أمثال قرية "**مجـــول**"، ومما ذُكر يتضح أن هذه الأسرة تحمل بين طياتها الكثير من المعاني الطيبة والأخلاق الحسنة، والتي قلَّت، وربما انقطعت في أيامنا هذه، ولا يستطيع أحد أن ينكر فيما مضى أن أغلب العائلات والأسر في القرى المصرية شاهدة على الأوضاع القاسية التي كان يعاني منها أغلب أفراد المجتمع في القرية، كذلك كانت "**المندرة**" مكانا لاستقبال الضيوف خاصة في المناسبات، ومن ذلك قول الكاتب:"**أمى أكبر أخواتها البنات، مات أبوها أثناء زيارته للأراضي المقدسة ودفن هناك ..أتت النسوة من كل مكان لتعزية جدتي ومباركتها بأنَّ الله اختاره ليكون في الأرض الطاهرة بجوار نبيه**"(١).

يشير الكاتب في المقطع السابق إلى أنَّ "**المندرة**" كانت لاستقبال الضيوف في المناسبات، وهذه المناسبة وفاة "الجد" في الأراضي المقدسة، وقد دُفن هناك، وبعد معرفة هذا الخبر مباشرة امتلأت "**المندرة**" بالنسوة للتعزية؛ لتخفيف المصاب الذي أصابهم، والمجاملة في هذا الواجب كما هو متعارف عليه بين أبناء القرى،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٢٤.

وقد وُجِد الوعي الديني في معرفة ثواب الحج ومعرفة قدر الموت هناك وثوابه، وشرف الدفن بجوار الرسول محمد "صلى الله عليه وسلم" وصحابته في هذه البقاع الطاهرة، فقد وصل بهم الأمر للحديث عن فضل الدفن هناك، مما جعل هذا العزاء ينقلب إلى فرح وزغاريد، لكن "الجدة" قلبها يمتلئ بالحزن، وقد سلَّمت الأمر لله، وهكذا وظَّف الكاتب "**المندرة**" والتي قلَّ وجودها في هذه الأيام، وربما انقرضت بعد الأبنية الحديثة التي بُني بها من حيث تقسيم المنزل لأدوار وشقق وتقسيمات، وبهذا استطاع الكاتب إظهار جماليات المكان بهذه الأوصاف التي عبَّرت عن تفاعل الشخصيات داخل العمل الروائي.

٣- **المسجد:** مكان للعبادة وتلاوة للقرآن وذكر، وقد أدى الكاتب بذكر "المسجد" وصفا للأحداث، ومن ذلك عندما تحدَّث عن والدته بقوله:

"**وكنتُ كلما أراها صامتة أو تطيل النظر إلي أستحلفها بأبي أن تعيد على مسامعنا "فضيحة عشيري" أو فعلتها الأثيرة أمام مسجد سيدى نصر، وبعد إلحاح وتوسلات، تقول:**

. يا بني كان زمان .. زمان جلبابه الأبيض عفرته ولولتنا وصراخنا المدوي، كنَّا أشبه بجوقة في وداع ميت، الخارجون من الجامع واجمون، غير مصدقين، وأبوك خلفنا جدار مسنودون عليه، حين هَمَّ واحد من الجمع بنهرنا أسكته أبوك بحزم وجرأة:

- " اخرس ياجودة لأبلعك التراب "حق يتامى".

- زدنا في هوسنا، وعشيري محمول على الأكتاف.

- هات فلوسنا ياعشيرى.

كانت أشبه بزفة بلدي حتى أدخلناه داره"[١].

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٢٩، ٣٠.

وضَّح الكاتب مكانة "المسجد" في القرية، حيث يلتقي الناس فيه دون تفرقة بينهم، فيقف الغني بجانب الفقير، والخفير بجانب الوزير، وقد كان لذكر "المسجد" هنا المفارقة التي كانت على لسان الأم حين استرجعت ما حدث من استيلاء أحد مشايخ المسجد الذي لا يفارقه، والمعروف بالصلاح والاستقامة، المفارقة أنَّه يأكل أموالها وإخوتها البنات وهن ثلاثة، وكانت أم الراوي أكبرهن، فلم ترَ مكانا يجتمع فيه الناس وتستطيع أن تطالب بحقها وحق إخوتها غير هذا المكان، فانتظرت هذا الرجل "عشيري" عند انتهاء الصلاة وخروجه من المسجد مع الناس لتصيح بأعلى صوتها وتطلب منه حقها وإخوتها الذي تركه لهن والدهن، وقد استولى عليه هذا الرجل المعروف لأهل القرية بالتزامه وصلاحه وعدم تقصيره في الصلاة، فوظَّف الكاتب تفاعل الشخصيات وتحركها من خلال "المسجد"، وبهذا كان للمسجد الأهمية الكبرى في القرية في المجتمع المصري، فهو مكان مُقدَّس له أثره في النفوس، ويَنظر إليه أهل القرية على أنَّه مكان يختص برب العباد، وله مكانة عظيمة في القلوب، وربما يعتقدون فيه تحقيق العدل، حتى إنَّ الفكرة التي أتت للأخت الكبرى وهي مطالبة "عشيري" بعد خروجه من المسجد، كانت صائبة، فاختارت أنسب الأماكن وأنسب الأوقات؛ لتستطيع أن تطالب بحقها وحق إخوتها؛ لتقيم الحجة عليه أمام المصلين، الذين هم أهل الله ويعرفونه، وربما يصيبه الخجل فيُرجع لهن حقوقهن التي استولى عليها، وهذا الفعل في نظرها أدعى في أن تُرجع الحقوق لأصحابها.

٤- **الضريح:** هو الحجرة المشتملة على قبر تعلوه قبة، أو"عبارة عن بناء قبة تغطيه فيه، فيقام عليها رُفات شخصية لها مكانة دينية أو دنيوية تدعو إلى تخليد ذكراه، وقد يقصده الزوَّار"(١)،

(١) معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، تأليف الدكتور/ عاصم محمد رزق، =

وقد ذكره الكاتب في رواية "**نخلة الهيش**"، حيث يقول: "**مجول مثل عجوز هدَّها التعب إثر سفرة طويلة، استراحت تحت جذع نخلة شقت لنفسها أرضا في سبخ الهيش .. مَنْ يتأملها للمرة الأولى تأخذه رجفة وتبعث في جوانحه رهبة، سرعان ما يدرك أن شراكها ملفوفة لمن وطأها بقدمه فلا يجد مفرا من أن يحل فيها، ويعجب كيف استكان لها سيدى نصر، وسيدى حسب الله، وسيدى فايد، وسيدى عبد الله المشيع وهم غُرباء، بُعداء، كيف ارتضوا المثول بين يديها؟**

ومَنْ ذا الذى أتى بهم هنا وسط الهيش والسباخ؟! وتناثروا في أطرافها .. كل له خُصُّه وشجرته من نبق وخوخ وسرو وتوت، والذي فيما بعد سيصبح الخُصَّ مقاما مبنيا بالطوب والطين، ومطليا بالجير الأبيض والأزرق، وله فسحة وعلى بابه زير ماء .. والذى ستزوره النساء تبركا وتيمنا .. بل سيكون لكل منهم مولد ترفع فيه بيارق الرَّايات وتدق أوتاد الخيام ويتوافد الدراويش من كل حدب وصوب لإحياء ذكراهم .. الرفاعية ـ البيومية ـ الشاذلية ـ الإبراهيمية .. بالأخضر والأحمر والأسود والبرتقالي، وعلى كل لون .. وكأنَّها غُلِّفت بالهيش والسبخ والضباب وتلقَّحت من الريح دويها ووشومها العجيبة"[1].

فقد ترسَّخ عند أهل القرية صلاح أصحاب هذه الأضرحة، وأنَّ لهم مكانة كبيرة عند الله، فكانوا يتبرَّكون بهذه الأضرحة وزيارتها، ويأتي الناس إليها لأخذ النَّفحات والبركات عند ذكرى مولدهم في كل عام، ولم يكتفوا بالزيارة بل كانوا يقيمون الولائم والذبائح والاحتفالات من أجل التقرُّب إلى الله كما هو المعهود

=

ص ١٧٤، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، سنة ٢٠٠٠م.

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤٠.

من المنتفعين من وراء هذه الأضرحة، والاستفادة المادية والمعنوية، وأنَّهم خُدَّام هذه الأماكن المقدسة، كما يعتقدون، وهذه كلها اعتقادات باطلة، فالذي ينفع ويضر هو الله، ولذلك كانوا يُجلُّون هؤلاء الأولياء، ومن ذلك ما كان من أمر "موكب الرِّفاعي"، في أثناء المرور، فقد أُلقيت الرَّهبة في القلوب، فابتعد الرجال في الشوارع عن طريق موكبه والنساء ينظرن من على الأسطح من طرف خفي، وقد لاحظ ذلك "الجد" عندما رأى هذا الموكب وهذه الرَّهبة التي أصابت الناس جميعا، وذلك كله في أثناء مروره، يقول الراوي: "**يرمى نظره على المقابر، كأنَّما يفحصها أو يملي عينه منها ويواصل سيره فوق نظرات الرجال والنساء الذين يتخفون خلف الأبواب والشبابيك والكوات .. تلوح على وجهه ابتسامة حين يسمع اسمه في خفوت آتيا من الغياب:**

ـ الرفاعي معدي.

كعادته تمسح عيناه البيوت على الصفين من بعيد .. يرى المسرعين من الرجال للابتعاد أو التواري عن طريقه ويدرك بقلبه النسوة الواقفات فوق الأسطح وأعالي الزواريب لرؤيته .. ما من أحد يجرؤ على مقابلته في طريق أو النظر إليه عن قرب، كانوا يوقتون حضورهم بغدوه ورواحه وكأنَّ وجوده إيذان بوجودهم"(١).

في المقطع السابق يتضح أن أهالي القرية يُجلُّون ويُقدِّسون هؤلاء الأولياء، وعند مرور أحد مواكب الأولياء "الرفاعي" ومَنْ يحملون الرَّايات ويَدقُّون الطبول والدفوف، ويَصيحُون بالأذكار، يَعتقد أهل القرية أنَّ الشيخ أو الولي الذي يمر، ويُحمل في الهودج الذي يحمل على الناقة أو الجمل الذي يسير مع الموكب، وهذا ليس بصحيح، وإنَّما هي معتقدات باطلة لا تثبت صحتها في الدين،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٤٦.

مِن أن يمر أحد الأموات والهتافات التي تُرى في أثناء مرور هذا الموكب، فذلك كله من المعتقدات الباطلة؛ لأنَّها توصل من يُصدق بها إلى الإشراك والعياذ بالله.

ولذلك أصبح "المسجد والدير ومقام الولي تظل جميعها رمزا للقداسة لدى كثير من الطبقات الاجتماعية في المدن والقرى مما يجعل منها أمكنة ذات طابع خاص وفضاءات لها تميزها لما لها من قداسة ولما تمتلك من طاقة روحية مؤثرة"(١).

وبهذا استطاع الكاتب أن يبرز هذه الخرافات والمعتقدات الباطلة في الرواية؛ ليعالجها ويتم النُّفور منها والابتعاد عنها، فلا ينبغي الانقياد والتسليم لمثل هذه الخرافات؛ لأنَّها خطر على الدين والعقيدة.

٥- **السيارة:** من الأماكن المغلقة التي استخدمها الكاتب، وكان لها دور في الرواية، وذلك حينما اشترى "**إبراهيم**" أخو"**إيهاب الورداني**"-كاتب الرواية، والمتمثل في أحد أشخاص الرواية- سيارة "**دبابة**"؛ ليعمل عليها ويأتي بالرزق الوفير الذي يُسهم في البحث عن حياة طيبة هنيئة مستقرة أفضل من التي يعيشها، لكنها كانت السبب في عمل حادث، يقول الراوي:

" **في صدري غصة من فعلتك، وضياع تحويشة العمر بنزقك أو غشمك أو تهورك، كم قلت لي:**

ـ سيارة؛ تزيد رزقنا.

أقول لك: أنت صنايعي، أنت بناء.

ترد وكأنَّما يدفعك دافع لا تقدر على عصيانه:

ـ السيارة رزق، ألم تؤمن بـ" واسعوا في مناكبها" ..

(١) استراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، ص ٩٦.

بالكاد ابتسم: وأنت مَالَكَ والقرآن!

ـ يا ابن أمي وأبي، تقول:

ـ أنتم المتعلمون تظنون بنا وَهْمًا أنَّكم وحدكم من يفهمون!

أكاد أضحك مغتاظا. ترد:

ــ آه.. العلم في الدنيا.. من الدنيا.. من الناس يا ابن المدارس"(١).

في المقطع السابق استطاع الكاتب أن يبرز لنا سعي أهل القرية خاصة الشباب للبحث عن الرزق، ومن ذلك شراء أخيه "**إبراهيم**" سيارة "**دبابة**" رُغم أنه صاحب صنعة "بنَّاء"، فكان يريد منه "**إيهاب**" ألا يشتري السيارة، وأن يعمل في صنعته؛ لأن ذلك سوف يُعرِّض حياته للخطر والموت، فوظَّف الكاتب "**السيارة**" واستخدامها في القرية، ورُغم هذا النزاع بينه وبين أمه وأخيه، إلا أنَّه لم يستطع إقناعهما بمنع شراء تلك "**السيارة**"، وقد كان من وقوع حادثة بالفعل، يقول الراوي:" **يدخل إبراهيم كأنَّما انشق السقف ونزل ــ وكان يصغرني بثلاث سنوات ــ محدثا جلبة وضجيجا. يقترب من أبي، يقبله من جبينه ويقول: عمر الشقي بقي.**

أنظر الآن: كومة من الصفيح تداخلت وتشابكت في بعضها، لا هي سيارة، ولا هي أبي، ولا أم أو أخت هنا.

توقَّف قلبي عن النبض، أنا الآن بلا نبض"(٢).

يكشف الكاتب في المقطع السابق عن تعرُّض "**إبراهيم**" لحادث بالسيارة التي اشتراها، فكان من هدفه البحث تحسين وضعه الاقتصادي، و"**إيهاب**" كانت له وجهة نظر أخرى أن صنعته فيها خير من شراء "السيارة" للعمل بها،

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٧٤، ٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥، ٣٦.

فـــدخل علـــيهم بعـــد أن كُتبـــت لـــه النجـــاة، فيصـــاب "**إيهـــــاب**" بالصدمة لدرجة أنَّ قلبه كاد أن يتوقف.

٦- **المستشـفى:** مكـان يعـالج فيـه المرضـى، ويشـعر فيـه النـاس بالطمأنينـة، بعد الخروج منه بعد أخذ العلاج والاطمئنان على صحتهم، وفي رواية "**نخلة الهـيش**" ذكـر الكاتـب "**المستشـفى**"، وذلـك بعـد أن وقـع حـادث أليـم لأخيـه "**إبراهيم**" بالسيارة التي اشتراها للعمل بها، وقد أُصيب قبل هذا الحادث ثلاث مرات، لكن هذا الحادث أخطر مما سبق، يقول الراوي: "**تبلـع أمـي غصتها، تنتفض، أصحو على صوت جارة تدق الباب، يصلني لغط، يسقط القلب مني، أنتبه: البس هدمتك وتعال.**

أدرك الأمـر، تهبـد زوجتـي علـى صـدرها فزعـة، تسـندني قبـل أن أقـع، لا دم في القدمين، أقول: وا إبراهيم!

من خلف الباب يفجؤني الصوت: في المستشفى.

تحت الدش واقف، ينـزل المـاء البـارد علـى الجسم البـارد فـلا أهتـز، تقـول امرأتي: خير يا خويا خير.. خير إن شاء الله، ويداها تعملان في خلـع ملابسـي المبتلة، لماذا هكذا أنا خائف ومرعوب لهذه الدرجـة؟ ليست المـرة الأولـى التـي يحـدث فيهـا ذلـك، فعلهـا ثـلاث مـرات مـن قبـل فـي ثلاثـة أشـهر، وفـي كـل مـرة أصـحو، وفـي كـل مـرة أهـرع إليـه، وحـين أراه لا ينظـر لـي، في اصطناع مكتوم، أغتاظ، وأسبه. لماذا إذن أخاف؟

سوف أسبه.. لا.. سأضربه.. سأضربه حتى لو زعلت أمي.

ألم نفسي، وأنا أركب السيارة التي جاء بها الرجل ليخبرنا، وتطوعت جارتي في مساعدته: خير.

يقـول: خيـر، كنـا معـا، وصـلنا "بـيلا" أفـرغ حمولتـه قبلـي، و"الدبابـة" صـغيرة، وحمولتها ليست كحمولتي، عاد قبلي، وحين أدركتـه قـالوا: "في "المستشفى". خرج منّي الصوت واهنا ومحشورا: أين؟؟

رد: لا أعرف.

الشبورة غمامة داكنة على عين الشمس، والندى غسل الأسفلت، وبلَّل حواف الطريق... قلت: والدبابة!

أدار وجهه: ربنا يستر"(١).

في المقطع السابق يكشف لنا الكاتب عن إبلاغه بعد معرفة وقوع الحادث الأليم الذي وقع لأخيه "**إبراهيم**" فأصابه الخوف الشديد عليه، فهو يخشى عليه من العمل بالسيارة التي نبَّه مرارا وتكرارا على الابتعاد عنها، ولذلك يقول بعد ذلك على المصيبة التي حلَّت بأخيه بعد الحادث الأخير: "**أراه الآن ممددا على السرير.. الوجه شاحب، والعينان تطلان من بئر عميقة. ينظر ولا يتكلم، ويطيل الوقوف تجاهي. أقترب منه، أضع يدي على جبينه، بارد ولزج، تزكمني رائحة نفاذة، أدير وجهي، أكح، لا أستطيع، أخرج من الحجرة إلى دورة المياه، أتقيأ.**

من مكاني على دكة خشبية ـ في الطرقة ـ أختلس النظر:

في فتحتي الأنف خرطومان يتدليان لأسفل في إناء من الصاج، من شق في الجلباب ينزلق خرطوم ثالث.. سبحان الله! ويح ابن آدم لا يشكر الله .. كم من الخراطيم داخلة، ولا يشعر بوجودها!

تلمحني أمي، تقول:

ـ هتسيب أخوك كده .. اتصرف.

يخرج صوتي هامسا، ممطوطا، واهيا:

ـ ربنا معانا.

تقول وسماؤها تذرف أنينا يسبق كلماتها:

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٣٢، ٣٣.

ـ اتصرف قبل ما يضيع.

ـ يضيع!

قلتها، أو لم تقلها، هكذا أنت، ينز جبينك ملحا لزجا، ويساقط من عينيك غضبك حارقا، تتقلص أنفك، وتنضم شفتاك في محاولة غير مجدية لتكبح ما يعتريك، فتنتفض"(١).

في المقطع السابق يصف الكاتب خطورة حادث السيارة الذي وقع لأخيه، وتم بعدها نقله إلى المستشفى، وهو الآن يُلقي إليه النظرات، وهو ممدد على السرير في حالة حرجة، غير مستقرة، وبعد أن رآه "**إيهاب**" حزن عليه حزنا شديدا بعدما ازدادت الحالة خطورة، يقول الكاتب: "**كان مساء الخميس .. اليوم الخامس في رمضان ويعلم الله وحده كم كانت حالة الأسرة في عودتها، بدت وكأنَّ على رؤوسهم الطير، قد تكون لأنَّ أفكارهم مشغولة في البحث عن مخرج، وقد تكون لإحساسهم بالفجيعة.. كنَّا خمسة: الأم والأختين وأنا وصديقي حمدي.**

العيون كلها ـ رغم تعاستها ـ تنظر إليّ وتترقب أوامري. كنت أدرك ذلك وأحاول أن أتماسك أمامهم .. تغطس روحي وتقب لدرجة أنني لم أتيقن من محاولاتي تلك هل تجدي؟

كنت أحدق في اللاشيء حتى بدا أنني أسبح في بحيرة من الكره والحب معا، من الذي أكره: نفسي أم أخي؟

وماذا يفيدني هذا الكره؟"(٢).

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) رواية نخلة الهيش، ص ٥٤.

يصف الكاتب حالة "**إيهاب**" وحال أسرته والمأساة التي يمرون بها لوقوع هذا الحادث الأليم، بعد إخبار الأطباء بخطورة حالته الصحية، لأنَّه يحتاج لنقل دم، يقول الراوي: "**أخي في المشفى، والأطباء أصدروا أوامرهم بإحضار دم.. دم كثير حي.. لم تزل فيه حرارة النبض وتدفق الروح.. دم .. دم .. دم.**

هل يكفي أن يتبرع الأهل بالدم؟

لماذا أنت بعيد يا بيتنا؟

اللحظات التي تلت الآذان فردت رداءها الثقيل على الجميع فبات واضحا رُغم الحركة، والخطط المرسومة بروح الفريق أنَّنا نؤدي طقسا مجهولاً .. في صوت مسلوخ يتصاعد الآن النداء .. تحمله الريح .. تبعثره في أرجاء مجول.

ـ إلى فاعلي الخير والقلوب الرحيمة .. مطلوب نقل دم .. نقل دم .. دم ..دم.

أجوب الأزقة والحواري ولسعات ريح باردة تلفح وجهي أمشي بخطى مرتعشة، دافسا في أعماقي أسى الأشجار والزروع ونخلة الهيش.

ـ ربنا معاك يا أستاذ.

تماما كمن يتلقي العزاء.

كل من يراني يبادرني بقوله: ربنا معاك يا أستاذ.

أنـــتفض.. أدرك داخلـــي وحـــدي مـــاذا تعنـــي "ربنـــا معـــك هـــذه"؟

لا شك أنني مذبوح أو عار، وكلهم يتفرجون عليَّ ويرون عورتي.

ها أنا أتسول الدم.

هل هناك فرق بيني وبين المتسولين؟

وهل يحس المتسولون بما أحسه الآن؟

ما أقسى أن تمد يدك، أو يعطف عليك أحد، أو تشفق عليك عيون.

ـ ربنا معك يا أستاذ"[١].

وهذا الذي جعله يفزع على الفور ويذهب لأهل القرية ويطلب منهم التبرع بالدم لأخيه، ولكن لا حياة لمن تنادي، الكل يقول له:"**ربنا معاك يا أستاذ**"، فاستطاع الكاتب أن يوظِّف "المستشفى" وتلقي العلاج في محاولة إنقاذ أخيه، وهذا هو عملها الذي تقوم به، لكن بيَّن الكاتب التَّقدُّم الذي كان موجودا في ذلك الوقت في الطب، فقد تم طلب نقل دم، وتحديد الفصيلة المطلوبة، يقول الراوي: "**فصيلة الدم A.. مررنا علي كل البيوت بعضهم رفض، وقدَّم الاعتذار تلو الاعتذار، وبعضهم هرب بلا أعذار وبعضهم وافق وتم التشديد على مجيئه.. المسألة حياة أو موت،**

– زغلول قال: إن فصيلتيA وجي .. أمه زامت، وقالت: دا لسه تعبان من الدور اللي واخده ..

- **شخط فيها .. رد: بعد الإفطار هكون عندكم،**
- **خضر قال: ابني معكم وربنا يشفي، وعلي وسعيد وعبد الله .. أكدوا بعد الإفطار .. أين هم؟ لماذا يا ربي تكلني لغيرك وليس لي سواك؟**[٢].

وبهذا يلحظ أن الكاتب جعل من نفسه أحد أبطال الرواية، فكان يسرد الأحداث بضمير المتكلم (الأنا). ولضمير المتكلم القدرة المدهشة على إذابة الفروق الزمنية والسردية بين السارد والشخصية والزمن، فكثير ما يتحول السارد نفسه إلى هذه الحال إلى شخصية كثيرا ما تكون مركزية، ولعل من جماليات هذا الضمير أن يجعل من الحكاية المسرودة المندمجة في روح المؤلف، كما يستطيع من خلاله التوغل إلى أعماق النفس

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٥٤، ٥٥.

(٢) رواية نخلة الهيش، ص ٥٦.

البشرية، بحيث يكشف عن نواياها بحق ويقدمها إلى القارئ كما هي لا كما يُحب أن تكون، وبهذا يُمكِّنُ المتلقي من الالتقاء بالعمل السردي خاصة إذا كان المؤلف إحدى الشخصيات التي يقوم عليها أحداث الرواية(١).

في المقطع السابق يكشف الكاتب عن تقصير أهل القرية في مساعدته في التبرع بالدم لأخيه، وربما تقصيرهم هذا يرجع إلى الخوف من التبرع بالدم كما هو شائع بين القرى من أثره على الجسم أو العقل، لكن هذا خطأ وقع فيه أهل القرى في الوقت آنذاك، وربما توجد مثل هذه الأمور حتى الآن، رُغم التوعية وثقافة التبرع بالدم وفوائده الصحية، ولذلك فشل "**إيهاب**" في الإتيان بالدم لأخيه، وبعد عودته يجد أن أخاه "إبراهيم" قد فارق الحياة، ويتألم بهذا المصاب، يقول الراوي في المونولوج الداخلي على لسان "**إيهاب الورداني**": "**من جلستي في "الطرقة" أختلس النظر منك، وحين تواجهني عيناك تحط الريح جبالها فوق رقبتي، وتسحب عينيَّ وتجرجرهما فوق البلاط المتآكل الحواف، والباهت لونه فأصرخ.. تلتف خراطيمك حولي.. أصرخ.. ملء حنجرتي، أقول: والله، معاتبا لنفسي، أنا الذي وافقتك؛ راحة لأمي، وأملا في زيادة رزقنا كما وعدتني.**

ـ إني لك يا إبراهيم.

ـ قم ولن تركبها لو كان بها رمق.. قم هذا رزقنا.. قم يكفينا.. قم.. قم.

هائما على وجهي المدلوق على البلاط، واضعا ذهني كله في استفاقتك، أقيم صلاتي، وألملم ما تبقى مني، وأصرخ: إني لك يا إبراهيم.

(١) ينظر: نظرية الرواية، تأليف/عبدالمالك مرتاض، ص ١٥٨،المركز الثقافي، الكويت، سنة ١٩٩٨م، د.ط.

وحـق الحـق ــ لا أصـدق ــ يـدك التـي تسـندني وتهدهـدني وتـوقفني، وفي وجهى تضحك:

ـ يا بن أمي وأبي.. لا تخف.. عمر الشقي بقي.. ألم يقل لك الدكتور إذا مر اليوم الثالث فلا خشية ولا خوف.. وهذا يوميَّ الثالث قد انقضى.. عد لبيتك وأمك وقل لها إبراهيم حلو..إبراهيم تمام، وعُمر الشقي بقي.

أسلمت أمرى مشفوعا بـ"عُمر الشقي بقي" وعدت لآتيك في الصباح"[1].

وبهذا يلحظ أن التقنيات السردية في أغلب الرواية جاءت بصوت واحد وهي صوت الرواي الذي كان أحد أبطال الرواية، حيث يعلو ضمير المتكلم (الأنا)، فكان الرواي المشارك الذي يقوم بدور الرواي وإحدى الشخصيات معا، فكان يحكي الأحداث والمواقف، ويعرض الحوارات في الوقت الذي هو شخصية داخل العمل الروائي.

(١) رواية نخلة الهيش، ص ٧٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، **أما بعد:**

فمن خلال ما سبق عرضه في هذا البحث الذي تناول "**جماليات المكان في رواية "نخلة الهيش" للأديب "إيهاب الورداني**" يمكن استخلاص ما يأتي:

- احتفاء الكاتب "**إيهاب الورداني**" بالمكان احتفاء ظاهرا وأساسا؛ فهو ركن من الأركان التي تقوم عليه الرواية، ولا يمكن تجاهله أو الاستغناء عن النظر إليه، كما أنَّه يُقدم وظائف متعددة، ودلالات متنوعة، تعالقت مع العناصر البنائية الأخرى؛ لتشكيل هذا العمل الروائي.
- احتلَّ المكان في الرواية دور البطولة، حيث إن الرواية تتعلق بصورة كبيرة بوصف قرية "**مجول**" وما يدور فيها من أحداث بالمزج بين الواقع والخيال.
- ارتكاز الكاتب "**إيهاب الورداني**" على المكان "المفتوح والمغلق" في روايته "**نخلة الهيش**"؛ لمناقشة أحداث قريته "مجول" وهي إحدى قرى المجتمع المصري، مما أسهم بشكل كبير في كشف اللثام عن القضايا التي تستحق المعالجة في قريته وقرى المجتمع المصري.
- استأثر المكان قرية "**مجول**" بالنصيب الوافر من أمكنة الرواية، لذلك كَثرت الشخصيات والأحداث التي وُجدت في هذا المكان في رواية "نخلة الهيش".
- استخدم الكاتب في رسم أماكن وتحديد أطرها أبعادا فنية كاشفة عنها، كالبعد الواقعي، والبعد النفسي، والبعد الهندسي، ومن خلال هذه الأبعاد انتظم المكان عنده في شكلين" أماكن مفتوحة ومغلقة"، وكلاهما جاء مساعدا في بناء عناصر السرد جميعا.
- إشعار القارئ أن المكان بنوعيه في الرواية قد عبَّر عن الشخصيات.
- أسهم المكان بدور تفسيري في معرفة مستوى الشخصيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وتأثير هذه الأماكن على سلوكياتهم، وتكوين سماتهم الشخصية.

- الأماكن المعادية والأليفة لا تحمل دلالتها من تسميتها، وإنَّما يكون ذلك من الحالات النفسية للشخصية.
- إن ما يحفظ للأمكنة فنيتها وجماليتها، وما يطلق العنان لمتخيل الكاتب والقارئ هو طريقة تقديم هذا الفضاء بما تتضمنه من دلالات، وبما تحمله من قيم رمزية ترتبط سواء بالمناظر الطبيعية، أو بشخوصه، أو بأماكن الإقامة المغلقة أو المفتوحة.
- تبدو شخصية الكاتب "**إيهاب الورداني**" في روايته "**نخلة الهيش**" ظاهرة في الرواية وهو نفسه الروائي، وهذا تَعَمُّد منه؛ لعيش الأحداث أكثر، حيث يبدو شخصية محافظة مليئة بمشاعر العطف والمودة والتآلف، صفات ورثها من بيئته وفي مسقط رأسه المتعلق بقريته "**مجول**"، مما جعله أحد أبطال الرواية، فتقمَّص شخصية "**إيهاب**" إحدى شخصيات الرواية داخل روايته "**نخلة الهيش**"، مما يدل على محبته وعشقه لبيئته، وأصالته وعراقته التي بدت واضحة منذ بداية سير الأحداث، حتى نهاية الرواية.
- تحديد المكان في الرواية بشكل واضح، حيث جرت أحداثها في الكثير من الأماكن، وكل مكان يحمل معه دلالات، انقسمت إلى مكان مفتوح ومغلق، والإشارة لأهم ما يميز فضاء القرية "مجول" التي وقعت فيها أحداث الرواية.
- تعدد الشخصيات في رواية "**نخلة الهيش**"، فشخصيات الرواية تحمل أسماء واقعية، أي من الواقع الاجتماعي.
- تعددت المشاهد الحوارية في الرواية بصوت لافت للنظر في مواضع مختلفة، مما جعلها تؤدي وظيفتها من حيث إظهار صفات الشخصيات مما أدى إلى تطور الحدث الروائي، فأسهم ذلك بشكل كبير في تطوير حركة الشخصيات ونشاطها في الأماكن داخل الرواية.
- تَمَكّن الكاتب "**إيهاب الورداني**" في سرد روايته بعدة شخصيات حكائية أسهمت في تطوير ونقل العمل السردي من خلال حوارات داخلية وخارجية.

- جاءت الشخصيات في رواية "**نخلة الهيش**" نماذج لفئات مجتمعية تحمل بداخلها مدار المعاني الإنسانية من حيث الأفكار والاتجاهات في صورتين رئيسة وثانوية، لكل شخصية دورها الظاهر بدون إقحام.
- جاءت اللغة في الرواية مزيجا ما بين اللغة الفصحى والعامية الحوارية؛ حتى يُكسِب الكاتب روايته مزيدا من الواقعية.
- حرص الكاتب على تصوير حركة الشخصيات ونشاطها في المكان.
- علاقة المكان بالوصف وذلك من خلال وصف الراوي للعديد من الأماكن التي تم الكشف عن دلالتها من خلال هذا الوصف.
- كما أدى المكان ووصفه دورا بارزا في إظهار شخصيات الرواية، فقد ربط الكاتب الشخصيات بالمكان الذي توجد فيه؛ ليسهم في كشف ملامح الشخصيات وملامحها ومرجعياتها، وعاداتها وثقافتها، وتقاليدها واهتماماتها.
- لشخصيات "**نخلة الهيش**" أبعاد دلالية مميزة أسهمت في واقعية الشخصيات وحيويتها في البعد الجسمي الكاشف للشكل الخارجي، والبعد النفسي الكاشف عن دواخل الشخصيات، والبعد الاجتماعي الكاشف عن حياتها.
- نوَّع الكاتب "**إيهاب الورداني**" بين الشخصيات، فاعتمد على شخصيات خيالية مثل "**نخلة الهيش**" و"**مجول**"، بالإضافة إلى شخصيات واقعية ظهرت في أغلب أحداث الرواية.
- وظَّف الكاتب "**إيهاب الورداني**" التقنيات الزمنية في بنائه السردي، فوُجِدَ الاسترجاع، والاستباق الذي مهَّدَ لأحداث لاحقة، والتخليص والحذف لتسريع حركة السرد، والوقفة والمشهد لإبطاء هذه الحركة حسب أهمية الحدث ودوره في البناء السردي.
- يعد البيت من أكثر الأماكن المغلقة حضورا في الرواية.
- يعد المكان أحد أبرز عناصر البنية السردية، إذ يجري فيه الحدث، ويتعالق مع الزمان والشخصيات، كما يجعله بؤرة الحدث المنظورة لدى القارئ أو المتلقي.

الفهارس الفنية

أولا: المصادر والمراجع

١. استراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، تأليف الدكتور/مصطفي الضبع، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.

٢. إضاءة النص قراءات في الشعر العربي الحديث، تأليف/ إعتدال عثمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.

٣. بناء الرواية "دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ"، تأليف الدكتورة/ سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

٤. بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، تأليف الدكتور/ عبد الفتاح عثمان، الناشر مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.

٥. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، تأليف الدكتور/ حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت آب، سنة ١٩٩١م.

٦. تجليات ذاكرة المكان في السرد النوبي المعاصر، قراءة في رواية "الشمندورة" لـ"محمد خليل قاسم نموذجا، للدكتور/ لطفي فكري محمد الجودي، جامعة الأزهر، حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا،العدد الخامس، سنة ٢٠١١م .

٧. تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

٨. جماليات التشكيل الزماني والمكاني، للدكتور/ إبراهيم نمر موسى، ص ٣١٤، مجلة فصول، القاهرة، مصر، مجلد ١٢، عدد٢، سنة ١٩٩٣م.

٩. جماليات المكان غاستون باشلار، ترجمة/غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة السادسة، بيروت، سنة ٢٠٠٦م.
١٠.جماليات المكان في الرواية السعودية دراسة نقدية، تأليف/ حميد البليهد، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٨هـ.
١١.جماليات المكان في الرواية العربية المعاصرة،–عمارة يعقوبيان– نموذجا، للباحثة/ زينب فرغلي حافظ، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المجلد الرابع، العدد ٢١، سنة ٢٠١٠م.
١٢.جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، تأليف الدكتورة/ أسماء شاهين، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، سنة ٢٠٠١م.
١٣.دلالة المكان في مدن الملح لـ"عبد الرحمن منيف"، تأليف الدكتور/ محمد الشوابكة مجلة أبحاث جامعة اليرموك، مجلد ٩، عدد ٢، عمان، الأردن، سنة ١٩٩١م.
١٤.السرد القصصي وجماليات المكان، للدكتور/ أحمد طالب، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٤٠٣، السنة الرابعة والثلاثون سنة ١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م.
١٥.عالم النص، دراسة بنيوية في الأساليب السردية، تأليف/ سليمان كاصد، دار الكندي للنشر، عمَّان، سنة ٢٠٠٣م.
١٦.العين، للخيل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق/ عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.
١٧.لسان العرب، لابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
١٨.المعجم الفلسفي، تأليف/ جورج صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، (د. ت)، سنة ١٩٩٤م.

١٩.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ٢٠٠٤م.
٢٠.معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، تأليف الدكتور/ عاصم محمد رزق، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، سنة ٢٠٠٠م.
٢١.المكان في الرواية البحرينية، تأليف/ فهد حسين، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.
٢٢.نظرية الرواية، تأليف/ عبدالمالك مرتاض، المركز الثقافي، الكويت، سنة ١٩٩٨م. د.ط.

ثانيًا : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص	٥٩٩
Abstract	٦٠٠
المقدمة	٦٠١
التمهيد	٦٠٣
المبحث الأول {جماليات المكان المفتوح في رواية نخلة الهيش}	٦١١-٦٢٨
القرية	٦١١
الشارع	٦١٦
السطح	٦١٨
شجرة الجميزة	٦٢٠
السكة	٦٢٣
نخلة الهيش	٦٢٦
المبحث الثاني {جماليات المكان المغلق في رواية نخلة الهيش}	٦٢٩-٦٤٧
البيت	٦٢٩
المندرة	٦٣٣
المسجد	٦٣٥
الضريح	٦٣٦
السيارة	٦٣٩
المستشفى	٦٤١
الخاتمة	٦٤٨-٦٥٠
الفهارس الفنية	٦٥١-٦٥٤
فهرس المصادر والمراجع	٦٥١
فهرس الموضوعات	٦٥٤